

الفصل الأول

في

الدراسات العربية في الهند خلال القرن التاسع عشر

- دراسة اللغة العربية والعلاقات المتنوعة بين الهند والعالم العربي.
- ظهور محو بال كسر كتر نلعلم والثقافة.
- الواب صديق خان : ولادته وتعليله ووصوله إلى إمارة محو بال.

الدراسات العربية في الهند خلال القرن التاسع عشر

يبدو من خلال دراسة العلاقات العربية- الهندية أن الشعين العربي والهندي كانا يتمتعان بروابط متنوعة منذ قديم الزمان. و كانت تربطهما قمل كل شئ الروابط التجارية وبالتالي تعرف الشعبان على لغاتهما و التي عملت كوسيلة للتعامل والتعاون المستمر بينهما فاللغة العربية كانت معلومة فيما بين التجار وسكان السواحل لكن مدى إلمام الناس بهند اللغة غير واضح وكذلك متى بدأت دراسته بالفعل لا يعرف إلا أن بعد بزوغ نور الإسلام في الجزيرة العربية وانتشارها في العالم و وصوله إلى الهند بدأت دراستها بصورة واضحة ولكن قبل الخوض في صميم الموضوع أرى من المناسب أن نعرف قليلا عن العلاقات التجارية السائدة بين الشعين وتأثيرها في اللغة والأدب ليسهل علينا فهم دراسة اللغة العربية في الهند.

الهند بلد قديم منذ قدم التاريخ ذات ثقافة وحضارة عالية. وتمثل عن بلاد خصبة تضاهي في قدمها العراق ومصر واليونان وغيرها من البلدان ذات الثقافات العريقة إلا أنه لم تكن بلدا موحدا أو ما كانت تعرف باسم "الهند" بل كانت موزعة على مناطق يحكم عليها ملوك أحرار. ويقول في هذا الصدد الشيخ سيد سليمان الندوي في كتابه "العلاقات الهندية- العربية"

"قبل مجيء المسلمين إلى الهند لم يكن لهذه البلاد اسم معين، كان لكل إقليم اسما منفردا. أو تعرف كل ولاية باسم عاصمتها. ولما احتل أهل فارس على ولاية من هذه البلاد فسموا هذه البلاد على اسم النهر الذي يعرف الآن بـ "نهر السند" والذي كان يعرف لدى العرب بمهران سموها بـ "هند هو" وفي اللغة الإيرانية والسسكربتية القديمة يبدل حرف السين والهاء كل بآخره. وله أمثلة عديدة ولذا دعوها باسم "هندهو" وهكذا عرف فيما بعد باسم الهند. وسمى العرب منطقة السند بالسند والمدن الأخرى هذا البلد بالهند وفيما بعد انتشر هذا الاسم في كافة أنحاء العالم.^٢

^٢ ص (١٦-١٣) حرب وهدى كه تعلقات. بقلم الشيخ سيد سليمان الندوي، مطبع معارف، اعظم جراد، عام الطاعة ١٩٩١م

العلاقات التجارية بين العرب والهند

كان العرب يولون أهمية بالغة إلى التجارة الهندية وينظرون إليها بظفره تقدير عالٍ. وهذا واضح من أقوالهم ورحلاتهم إلى الهند وبيان وقائعهم. فقد بينوا الخاصلات والمتوجات الهندية - ألها عجائب الدهر وبنوادرها. وفي رد علي سؤال عمر رضي الله عنه عن الهند قال سائح : "بحرها در وحبلها ياقوت وشجرها عطر"^١.

وبالنسبة لتاريخ التجارة العربية الهندية فهو قدم جداً ولا يمكن القول بالتحديد منسب متى بدأت هذه التجارة بين الشعير وكيف وحد طريقاً لأول مرة كل إلى الآخر. إلا أن بعض المشواهد تفيد بأنه يرجع عهدها على أقل تقدير إلى ألفى سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

"نحزنا التوراة بأن التجار العرب الذين كانوا يترددون إلى مصر من ألفى سنة قبل الميلاد بضاعتهم، كانوا يحملون البنسان، والصنوبر، ومواداً أخرى ذات رائحة عطرية، وأن الهندية التي جاءت لها ملكة اليمن إلى سليمان عليه السلام، احتوت على العطور. وكثير من الذهب والأحجار الكريمة وقد كان العرب هم الذين يجلبون الفولاذ والسادج الهندي والبهارات إلى الشام في زمن حزقيال النبي (٥٢٨ ق م) من أوزال (اليمن) فيقول حزقيال : يقصدون سوقك من أوزال لبيعوا الفولاذ اللامع والسادج الهندي والبهارات. ومن المضحق أن اللبان والأزهار العطرية كانت توجد في اليمن، ولكن موطن الفولاذ اللامع (السيف) والسادج الهندي، والبهارات، إنما هو الهند من القديم إلى الآن. فيظهر من هذا جلياً أن علاقات العرب التجارية مع الهند، يرجع عهدها على أقل تقدير إلى ألفى سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام."^٢

الطريق التجاري :

الهند والبلاد العربية هي من الدول التي يمكن أن نطلق عليها اسم دول حارة وبينها لا يحول شيء إلا بحر وعلى سطحه طرق واسعة طويلة توصل واحدة بالأخرى. ومن

^١ الأحيار للدهوري ص (٣٢٦) (البدن) ثقافة الهند. تفلك الأول. الجزء الثاني. يونيو سنة ١٩٥٠م

^٢ علاقات تجارية بين العرب والهند. للشيخ سيد سليمان القروي ثقافة الهند ص ١١٩-١٢٠، الجزء الأول، العدد الثاني، يونيو سنة

الطبيعي للدول الواقعة على ضفاف الأنهار أن تكون دول تجارة. وهذه هي أول صلة كانت ترتبط بين الشعبين العربي والهندي. فكان التجار العرب قبل ألف سنة من السنين يترددون إلى سواحل الهند وتوصلون بضائع ومنتجات هذه البلاد إلى مصر والشام ومنها إلى أوروبا ويأتون لبقائها إلى الهند، جزر الهند، الصين واليابان.

كانت طريق العرب برًا هي أهم كانوا يمرون بمدن مصر والشام وعلى ضفاف البحر الأحمر يعبرون الحجاز حتى يصلون إلى اليمن ومن هنا يأخذون السفن الشراعية فالبعض منهم يذهبون إلى أفريقيا وحبشة والبعض منهم يسيرون على ضفاف البحر مارين بحضرموت، عمان والبحرين والعراق حتى يعبرون السواحل الإيرانية للخليج الفارسي. فيتزلون على ميناء بلوشستان أو يتقدمون إلى الإمام ويتزلون على ميناء السند المسمى — (ديبل) (كراشي) ثم يمشون فدما ويأتون إلى ميناء يومباي (بمبائ) ثم يتقدمون إلى الإمام ويأتون بحرًا إلى كالي كوت ورأس كماري. فكانوا أحياناً يتزلون على طرف من مدراس وأحياناً يمرون — سرانديب وأندمان ومن هنا يطوفون على موانئ مدراس وينحلون في خليج بنغال ومن هنا يمرون بمبئاء بورما وسيام ويذهبون إلى الصين. وكانوا يعودون على نفس الطريق.^٦

الحاصلات الهندية وتجارتها.

إن العرب في القرن السادس الميلادي كانوا يحملون من اصد، الدر، الأحجار الكريمة والأشياء العطرية. ويذكر سائح عربي في القرن التاسع الميلادي السبب الذي يرغب السفن السيرابية عن السيربي القنزم إلى مصر، ويدعوها إلى الرجوع من جدة نحو الهند، فيقول: "إن في بحر تلك البلاد (الصين والهند) الدرر والعنبر وفي جبالها الأحجار الكريمة ومعادن الذهب، وفي أفواه حيوانها العاج، وفي منتجها الساج والخسيزران، والعود والكافور والقرنفل والجوزبوا، والبقم والصندل وعطوراً أخرى. وفي طيورها البيغاء والظاظوس. وزبد أرضها مسك و زباد (عرق حيوان، له رائحة طيبة)^٧

^٦ العلاقات البرية-المدية، فتح سيد سليمان السنوي (ص ٦-٧)

^٧ أبو زيد نسوان، ص ١٢٥ (بارز . ص ١٨١١).

ويذكر ابن خردادز به (سنة ٣٥٠) ما كان يجلب من حاصلات الهند وبضائعها إلى بلاد العرب والعراق، فيقول "الأخشاب ذات الروائح العطرية، والصدل، والكافور، والقرنفل، الخوزبوا، والكبابة والصينية، والنارنجيل، والأقمشة من الكنان والقطن والحريير والناعج، ومن سرانديب جميع أنواع الياقوت، والدرر والبنور، السبازج التي تصلح به الجواهر الكريمة، ومن مليبار القفلل الأسود. ومن غوجرات الرصاص، ومن دكان (دكن وهو الجنوب) البقم، والداذي، ومن السند كث (دواء) والفصب، والخيزران."^٨

واردات الهند

أما واردات الهند فإن الهنود كانوا يشترون من التجار العرب الأقمشة والحديد وما إلى ذلك. ويكتب الشيخ الندوي في هذا الصدد :

"وكان طلب الناس للمسكة الذهبية السندية عاما في القرن الثالث (القرن التاسع الميلادي) فكان الدينار الواحد من السند يباع في الهند بثلاثة دنانير. وكذلك كانت تجلب خواتم الزبرجد في علب جميلة^٩، وكان إقبال الهنود على المرجان وعلى حجر عادي رخيص، يسمى بـ "دهج" عظيما^{١٠} وكانت الخمر تجلب من حصر^{١١}، والأقمشة الخيرية والسموي والغراء والسيوف من بلاد الروم^{١٢}، وماء الورد من فارس، وكان شهيرا في الهند^{١٣}، والتمر من بصرة^{١٤} إلى ديبيل (السند) وكذلك كان العرب يأتون بالخليل إلى كارومدل"^{١٥}

رحلة سليمان وأبي زيد، ص (٩) نقلًا عن مجلة ثقافة الهند، ص ١٢٥-١٢٦، انجلد الأول، العدد الثاني، يونيو سنة ١٩٥٠م.

^٨ كتاب المسالك والممالك لابن خردادز، ص ٧١ (بيد) نقلًا عن العلاقات التجارية عبر الهند بقلم الشيخ سعيد مسليح الندوي. ثقافة الهند، ص ١١٢-١١٥.

^٩ رحلة سليمان وأبي زيد، ص (٩) نقلًا عن مجلة ثقافة الهند ص ١٢٥-١٢٦، المجلد الأول، العدد الثاني، يونيو سنة ١٩٥٠م.

^{١٠} أيضا، ص ١٤٥ نقلًا عن المجلة المذكورة.

^{١١} ابن حوقل، ص ٧٣١، نقلًا عن المجلة المذكورة.

^{١٢} ابن خردادز، ص ١٥٢ (بيد) نقلًا عن المجلة المذكورة.

^{١٣} ابن حوقل، ص ٧١٣ نقلًا عن المجلة المذكورة.

^{١٤} نزهة المجالس لأبي العلاء، ص ٣٤٩ نقلًا عن المجلة المذكورة.

^{١٥} أيضا، ص ٣٥٥ نقلًا عن المجلة المذكورة.

كلمات هندية في اللغة العربية.

أدى تردد العرب إلى السواحل الهندية إلى دخول كلمات هندية ذات علاقة بالملاحة في الرحلات والجغرافية العربية، وعلفت بأنسنة البحارة الفرس والعرب فمتسها كلمة "البارجة" يقول البيروني إنها هندية، عربوها من كلمة نيره (تبدل الماء في العربية بالجيم) وجمعوها على "البوارج" وتطلق كلمة البوارج في اللغة العربية الخالية على البواخر الخريصة. ومثل كلمة البارجة كلمة "دوينج" التي جمعوها على ذوانيج أصلها الهندي 'دونكى' (بالكاف الفارسية) وكلمة أخرى هي "هوزي" ولا يزال أهل بومباي يستعملونها، فيقولون "هورى" (بالراء الهندية).

ونسربت كذلك إلى العربية ثلاث كلمات أخرى هندية، لم يعرف بعد إلى أصولها وهي "بليج، و"جوش" و"نير" يعنون بالأرل سقف السفينة وبالثانية جبل السفينة وبطلقون الثالثة على جبل من قشر النارجيل لربط السنن وضح الأنواع بعضها إلى بعض وهذه الكنيمات كلها هندية الأصل.

وهناك كلمة أخرى تحوى على تاريخ التجارة البحرية الشرقية كله في ذلك الزمن، ينطقونها بالعربية "ناخوده" ويجمعونها على "نواخذه" ولكننا في الهند بتشكيلها الفارسي أنس وهي كلمة "ناخدا" مركبة من كلمتين إحداهما هندية وهي ناؤ أي السفينة، والأخرى فارسية وهي 'خدا' أي المالك.

شهادة لغة العرب

يُجد كلمات عديدة رائجة في اللغة العربية التي تدل بصورة أوضح على ما كانت العرب تجلبون من الهند. فالسيوف الهندية اشتهرت بينهم وسموها بالهندي، والحدواني، والهند. ونذكر هنا بعض الكنيمات العربية التي أصلها هندي ومعظمها أسماء للبهارات، والعمور والأدوية. وقد أتى الشيخ سيد سليمان الندوي بقاعة لهذه الأسماء فكُتب^{١١} :

الاسم العربي	الاسم الهندي
الصندل	حندن
	(Chandan)

^{١١} إعلانات مغربية لمسية من ٦٩-٧٠.

(Moshka)	موشكا	المسك
(Kapur)	كپور	الكافور
(Tamhu)	تامبول	السنبول
(Kanak Phal)	كنك فل	القرنفل
(Pipli, Pipla)	بيلى، بيلا	القلفل
(Kobal)	كوبل	الموغل
(Zunja Bera)	زونجا بيرا	الزنجبيل
(Niln Phal)	نيلوبهل	نيوفر
Avl	ايل	اهيل

الأدوية :

(Jai Phal)	جائفل	جائفل
(Triphal)	تري فل	الإطريفل
(Shakhar)	شكهر	الشخميرة
(Bahera)	بھيرا	البليج
(Harh)	هره	المليج
Bhajataka	بھاتكھ	البلاذر

أما العود الهندي، والقسط (كت) الهندي، الساذج الهندي، والقرطم الهندي، والتمر الهندي، فهذه الكلمات لا تحتاج إلى بيان أصلها، فإنها تخبره بنفسها، ولما كان العرب يأخذون العود من كارومندل، إختصروا إسمه فسموه بالمندل.

الأقمشة :

(Kirpas)	كرباس	القرنس
(Chhint)	جهينت	الشيت
(Pat)	بت	الفرطة

الألوان :

(Niel)	نيل	التيلج
(Kirmsch)	كرميج	القرمز

الثمار :

Mosha	موشه	الموز
Narcat	ناريل	النارجيل
Amj)	آم	الأنج
(Lemo)	ليمو	الليمون

ثلاث كلمات هندية في القرآن الكريم.

ذكر الشيخ سيد سليمان الندوي في كتابه :

"اختلف العلماء في وجود كلمة غير عربية في القرآن المجيد. واستقر الرأي أخيراً على وجود كلمات غير عربية فيه بعد أن عربت وأصبحت عربية.

وقد جمع الحافظان ابن حجر العسقلاني والسيوطي مثل هذه الكلمات. ولنا معشر الهند أن نفخر بأن كلمات من وطننا قد وجدت مكاناً في هذا الكتاب المقدس المطهر. ولكن لا ريب فيه أن ثلاثة من الروائع العظيمة التي ذكرت في وصف الجنة، هي هندية-المسك، والزنجبيل، والكافور^{١٦}.

العلاقات اليازية

أما العلاقات السياسية فإنها بدأت في عهد عمر الفاروق في الخليفة الثاني للمسلمين. ويفيدنا الشيخ سيد سليمان الندوي ما ملخصه :

"في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت السفن التجارية في بحث عن ميناء مناسب وبدأت تطوف على سواحل الهند. وميناء (تانا) (يومياي) هو "أول ميناء غزا عليه المسلمون لأول مرة ويأذن من وإلى البحرين وذلك في سنة (١٥) للهجرة الموافق (٦٣٦م).

^{١٦} العلاقات التجارية بين العرب والهند لشيخ سيد سليمان الندوي ص: ١-١٠، نفاة الهند. الجزء الأول، معقد الثاني، برنو سنة

ثم كان الغزو على (برومس) وفي نفس الفترة غزا مغوار آخر يسمى بـ مغيرة على ميناء ديبيل الواقع على مقربة من كراتشي. وبعد عدة سنوات وفي عهد عثمان غني رضي الله عنه قامت وحدة بحرية بجولة إلى هذه الموانئ ثم رجعت وفي زمن علي رضي الله عنه في سنة (٣٩) للهجرة الموافق (٦٦٠) الميلادي بدأ سيد عربي يراقب هذه المناطق بصورة منتظمة. وفي نهاية الأمر تعرض للفنل في عام (٤٢) هـ الموافق (٦٦٣) م. وفي سنة (٤٤) هـ (٦٦٥) م أرسل الأمير معاوية مهلب إلى ساحل السند كمراقب مبعوث وبعد ذلك أصبح منصباً مستقلاً في الحكومات العربية.

وفي سنة (٨٦) هـ (٧٠٥) م لما تولى وليد بن عبد الملك زمام الحكم في دمشق وعين حجاج بن يوسف والياً على المناطق الشرقية للدولة قام بتعزيز العلاقات مع اخذ والجزر الهندية. وكان التجار العرب يترددون إلى السواحل وكان القراصنة يسطون على هؤلاء حين لآخر. فان سومات وكش كانا ملجأين للقراصنة حتى زمن البيروني سنة (٤٢٤) هـ وعنى كل حال، كان بعض التجار يتجرون في لنكا، وماتوا هناك، أرسل ملك لنكا أولادهم ونساءهم على سفينة إلى العراق. وفي الطريق وبالقرب من ميناء ديبيل للسند هجم القراصنة على السفينة وقضوا على النسوة. ونادت هؤلاء واحجاج واحجاج! لما سمع حجاج هذا النبأ كتب إلى ملك السند داهر أن يرسل إليه هذه الثغالة بأمان وسلام وتكن الملك اعتذر قائلاً انه من أعمال القراصنة ولا امنك عليهم شيئاً. فلم يقبل حجاج هذا العذر. وفي هذه الأثناء حدث حادث آخر وهو انه لاذ بعض الخناة والمتمردين في مكران بالفرار والتجأوا إلى السند ونعت رعاية الملك داهر وشكوا عصابة الأمر الذي أثار مزيداً من غضب الوالي، فانه جهز جيشاً كبيراً تحت قيادة ابن أخيه محمد بن قاسم، أرسل إمدادات عسكرية برا عن طريق إيران. وصل محمد بن قاسم في سنة (٩٢) إلى السند في غضون ثلاث سوات واحتل على كافة مناطق السند واقام فيها العدل والقسط والأمن والسلام.

وفي سنة (٩٦) هـ حج تون الخليفة وليد بن عبد الملك واستخلف مكانه سليمان بن عبد الملك فانه بسبب بعض خلافاته الذاتية وعدائه الشخصي مع أسرة حجاج ومن كان معه

THESIS 0,28112,1134:9

28F3

٣٣٤ - ١١٢٢٢٥

فصل كافة الضباط والمسؤولين الذين كانوا يمتنون بصلة إلى حجاج. ومن بينهم محمد بن قاسم حيث انه فصل وقتل.

وجاء بعده ولاية كثيرون وفي سنة (١٠٧) هـ تولى هذا المنصب الوالي جنيد وكان عالي الهمة شجاعا وغزا على كرش، ومن ثم توجه إلى بروص (بروج) وتوغل أحد ضباطه إلى مدينة أجبين (مالوه) ومن هنا وصل كوجرات وعاد إلى السند ولكن هذه الفتوحات كلها لم تكن إلا بمثابة عاصفة عابرة.

وفي سنة (١٢٤) هـ الموافق (٧٥١)م تعرضت الحكومة لثورة كبرى منها. وتولى زمام الخلافة الإسلامية العباسيون مكان الأمويين وجعلوا بغداد عاصمة لهم بدلاً من دمشق. وهذه الثورة قرئت الهند إلى عاصمة الحكومة العربية.

وفي سنة (١٤٠) هـ الموافق (٧٥٩)م عين هشام والياً على السند. أرسل ضابطاً عسكرياً مع مجموعة من السفن إلى كوجرات ولكن مهمته هذه باءت بالفشل وعاد خائباً خاسراً ثم غزا هشام نفسه واحتل على قندهار بالقرب من بروص. وبنى مسجداً هناك في ذكرى فتحه وكان هذا أول مسجد في بلاد كوجرات و أول مسجد في الهند قاطبة بعد السند.

وبعد منصور تولى مهدي إلى منصب الخلافة وأمر منه غزا عبدالملك على كوجرات مرة أخرى وفتح في سنة (١٩٠) هـ الموافق (٧٧٨)م هاربوت الواقعة بالقرب من (بروص). إلا أن الجيش أبتلى بمرض هناك ومات نحو ألف جندي فاضطر إلى مغادرة تلك المنطقة.

كانت الحكومة العباسية في بغداد قوية متينة حتى عهد الخليفة معنصم بالله الذي توفي في (٢٢٧) هـ و بعد ذلك أدركها الضعف والاضطراب يوماً بعد يوم وانقطعت علاقتها مع السند والهند شيئاً فشيئاً. وبعض الفترة حكم هذه المناطق الحكام العرب بصورة حرة إلا أن الملوك اصفور استعادوا سيطرتهم عليها. وفيما بعد لم يبق إلا ولايتان عربيتان وهما ملتان

ومنصورة. وحدير بالذكر هنا أن الملوك الهندوس تعاملوا مع المسلمين معاملة حسنة وتركوا مساجدهم على حافا.^{١٨}

والفترة التي تلت هذه العصور شهدت ظهور دويلات إسلامية في مختلف أجزاء العظام الإسلامي ولم يحدث شيء يذكر إلا بعد أن قام محمود الغزنوي الهند سبع عشر مرة بين عامي ٣٩٢هـ و ٤١٠هـ ففتح بعض الجهات الشمالية الغربية، ولم ينشر الإسلام في كل أنحاء البلاد إلا بعد أن غزا محمد الغوري دلهي ووصل المسلمون إلى ثور بنغال أيام الغوريين حوالي ٥٩٧هـ وتولت على الحكم في الهند أسرة الملوكين ثم أسرة الخنجيين ثم أسرة تغلق التي حكمت الهند إلى عام ٧٣٩هـ ثم جاء المغول وحكموا الهند كلها في القرن العاشر الهجري.

ثم جاء المستعمرون البرتغاليون فافولنديون فالفرنسيون والإنكليز. وقامت الثورة الكبرى سنة ١٨٥٧م وبعد أن باءت بالفشل استتب الأهر للإنكليز. ونشأت عدة حركات وطنية تدافع عن حقوق المواطنين. وأقواها حزب المؤتمر الوطني الذي ساهم فيه المسلمون حيا إلى جنب مع الهندوس. ولكن بعض قادة هذا الحرب تظاهروا بالعصبية الدينية البشعة، فشأت حركة "الرابطة الإسلامية" تطالب بوطن مستقل للمسلمين ونجحت خلافات بين الطرفين، ثم جرى تقسيم البلاد عند إعلان الاستقلال وهكذا ظهرت دولتان مستقلتان الهند وباكستان في ١٩٤٧.^{١٩}

العلاقات الثقافية العربية الهندية و دراسة اللغة العربية

إن العلاقات التجارية والسياسية القائمة بين الهند والعرب منذ السنين مهدت الطريق إلى التعامل والاختلاط بين الشعبين العربي والهندي ومن ضرورات التجارة والسياسة التعرف على لغة وثقافة الشعب الذي يتم التعامل معه ولذا نرى أن العلاقات التجارية أثرت اللغتين وأدخلت كلمات في كلتا اللغتين إلى أن أصبحت مستخدمة كالأصل وكذا تأثرت تقليد و حضارة الشعبين كل بالأخرى ومن بواعث تعلم اللغة ودراستها التجارة ثم السياسة ثم

^{١٨} (العلاقات العربية - الهندية ص ١٣-١٨)

^{١٩} البادل الثقافي بين الهند والعرب، بقلم محمد، أكرم حسيني، تاليف محمد، الطاهر، العدد: ١، عام ١٩٩٠م.

الديانة التي أصبحت أقوى من الجميع والتاريخ يفيد بأن اللغة العربية كانت معروفة لدى الهنود في العصور القديمة وقبل وصول أشعة الإسلام إلى هذه البقعة من الأرض وقد ذكر الشيخ سيد سليمان الندوي أن بعض الهنود كانوا يعرفون اللغة العربية في عهد مهاجرات أيضا.

"كان هناك رجال في عهد مهاجرات في الهند يعرفون اللغة العربية و من الصعب أن نؤمن بهذه الحكاية إلا أنه ذكر ذلك عالم هندوسي كبير فلا أنجراً على نفيها فإن مؤلف "ستيارث ميلا كاش" الأستاذ دياند كتب في الفصل الحادي عشر (الباب الأول: الدرس: ١٤٧) أنه في زمن حرب مهاجرات عند ما أراد أفراد قبيلة كورو (كانت هناك قبيلتان متحاربتان في العهد القديم للهند كورو و ياندو مثل أوس و خزرج في العرب الجاهلي) بناء بيت من الخشب ليحرقوا فيه أفراد قبيلة "ياندو فتكلم فيدرجي مع يدهيشترا باللغة العربية ورد عليه يدهيشترا بنفس اللغة".

تدل هذه الرواية أن بعض الهنود كانوا يعرفون لغة سميت بالعربية^{٢٠}

وأثناء العصر البوذي توثقت العلاقات بين الهند والعالم العربي بوجه غير عادي وبفضل الجهود التي بذلها الإمبراطور | اشوك | أصبحت الديانة البوذية معروفة في MESUPOTAMIA حيث كان البوذيون يعرفون بالفرقة السمنية^{٢١}.

وهندسة العمارة الهندية الجديدة المعروفة بفن جندهار أثناء هذا العصر ترك بصمات عميقة له على حضارة الشرق الأوسط. خاصة في سوريا إلى جانب أثرها في الحصارين اليونانية والرومية^{٢٢}.

هذا وبظهور الإسلام بدأت مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الهندية العربية وقد وصفت هذه المرحلة بأنها مرحلة الحوار الثقافي بالمعنى الحقيقي للكلمة وبلغت العلاقات ذروة

^{٢٠} العلاقات معربة الهندية فلم تصبح من سلع الهند الذي من: ١٠-١١، مطبع معارف اعظم جراه، (الهند) عام ١٩٩٤م.

^{٢١} وأحمد سماعيل الندوي - تاريخ اتصالات بين الهند والبلاد العربية: من ١٣، نقل عن نقاعة الهند، من ١٥٢، العدد ١٢٩، العدد الأول، عام ١٩٩٨م.

^{٢٢} لب. سماعيل الندوي: العلاقات الهندية والعربية: من: ٣١٧.

^{٢٣} وأحمد سماعيل الندوي - تاريخ اتصالات بين الهند والبلاد العربية: من ١٥، نقل عن نقاعة الهند، من ١٥٣، العدد ١٢٩، العدد ١، عام ١٩٩٨م.

جديدة خاصة في المجالات الفكرية والثقافية والأدبية أثناء العصر العباسي. ففي هذا العصر على وجه التحديد تعرف العرب بالحكمة والفلسفة والديانة والثقافة والعنوم والفنون المنديفة من خلال التراجم العربية للمكتب الكلاسيكية السنسكريتية وما سجله السياح العرب ممن انطباعا لهم عن هذه البلاد و في مقدمهم أبو زيد الصيرفي

و سليمان التاجر و المسعودي وابن حوقل والمخاطب والاصطخري والمقدسي وابن حزم وبرك بن شهريار والبيروني وابن بطوطة وكثيرون غيرهم من مترجمين وعلماء وحكماء أمثال الكندي والسرطسي والخوارزمي وجميعهم بفضل في نقل المعرفة والثقافة الهندية إلى العالم العربي ويعتبر كتاب البيروني مصدرا هاما للمعلومات عن الهند ولا يوجد له نظير حتى في أي لغة من اللغات المحلية للهند.

وقد خصص أبو القاسم صائب أحمد الأندلسي فاضلي طولييد و (٤٢٠-٤٦٢) في كتابه "طبقات الأمم" بابا مستغلا عن الهند تحت عنوان الأمة السادسة (الهند والسند) ذكر فيه : جميع الأمم تعترف بتفوقها (الهند) في مختلف فروع العلم والمعرفة وكان الصينيون يدعون الملك الهندي بلقب ملك الحكمة لرعايته وإكرامه لجميع العلماء ولمساعيه الجادة لرفع مستوى شعبه في جميع المجالات^{٢٢}.

ويواصل صائب بن أحمد الأندلسي حديثه فيقول: "ومن أهم تلك العلوم علم الرياضيات وصناعة الهندسة وحركة الكواكب وأسرار علم الفلك وجميع فروع الفيزياء وصناعة الأدوية والطب وحصائص الأدوية والعقاقير ودراسة آداب المجتمع من كل نوع كما أنهم يدرسون فن السباق وتاريخ الملوك والإلهيات وعلم التوحيد^{٢٣}."

وقال المسعودي : "ذكرت جماعة من أهل العلم والنظر أن الهند كانت قدم الزمان الغرة التي فيها الصلاح والحكمة^{٢٤}."

^{٢٢} د. أحمد حسن الزيات: الهند وعصر: العلاقات الهندية بين الأمتين قديمتين : ثقافة ص. : ٤٣٥ م. ٣ ص ٨

^{٢٣} نفس المرجع السابق.

^{٢٤} مروج الذهب. ٣٥١١، فلاح عن ثقافة الهند من ١٣٥١/٤٩، العدد ١، عام ١٩٩٨ م.

وقال الخوارزمي وعلي بن أحمد النسوي بنشر الحساب الهندي في البلدان العربية في القرن التاسع والقرن العاشر الميلاديين على وجه الترتيب وألف الأخير "كتاب المصنع" في الحساب الهندي^{٢٦}.

وفي هذا السياق بالذات يقول محمد أكرم الندوي :

"وقد صرح العرب أنهم تعلموا كتابة الحساب من الواحد إلى التسعة من الهنود^{٢٧} وأخذها الغربيون من المسلمين العرب، ومن ثم فإنهم يسمونها في لغتهم الأعداد العربية. ومن الذين قاموا بنشر الحساب الهندي في البلدان العربية الخوارزمي في القرن التاسع المسيحي وعلي بن أحمد النسوي في القرن العاشر المسيحي الذي ألف "كتاب المصنع" في الحساب الهندي^{٢٨}.

الفلك :

وكان أحد التراجم الهنود حمل معه من السند كتابا في الفلك عرف في اللغة العربية بكتاب السند هند(٤) والكتاب الثاني الذي نقل إلى العربية هو "الأرجمهند" والثالث "الأسكند".

الطب :

كانت بعض الكتب الطبية قد نقلت من السريانية واليونانية إلى اللغة العربية في العهد الأموي ولكن عملية الترجمة زادت ازدهارا أو رفيا في العهد العباسي ونذكر كتب التاريخ أن الخليفة هارون الرشيد استقدم الطبيب منكه الهندي إلى بلاده لعلاجه حتى تحسنت صحته^{٢٩}.

وكتب المحافظ عن أطباء الهند الذين جلبهم يحي بن خالد البرمكي إلى بلاده يقول " إن يحي بن خالد جلب أطباء من الهند مثل "مسكه" و "بازيكر" و"فليرقل" و"سندباد".^{٣٠}

^{٢٦} العلاقات تمدية العربية : ص ١٣٧.

^{٢٧} رسائل ابن النديم : ص ١٦

^{٢٨} طبقات الأسم : ص ١٩ نقلًا عن ثقافة الهند، ص ١٤٨-١٦٠، ج ١، عدد الأول، عام ١٩٩٠م

^{٢٩} المعجم لآب ليدم ص : ٣٣٥.

^{٣٠} البلدان والجزير : ٧٨٦.

ولعل البرامكة كانوا أشد الناس ولوعا بالعلوم الهندية يقول ابن النديم نقلا عن محمد بن إسحاق: "إن يحيى بن خالد عن يأمر الهند واستقدم علماؤها وحكماؤها"^{٢١}. وقال ابن النديم، حكى بعض المتكلمين: أن يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة فيها^{٢٢} وعين الطبيب منكه ليقوم بترجمة بعض الكتب السمسكرينية في الطب إلى اللغة العربية. وذكر ابن النديم أسماء كتب الهند في الطب الموجودة بنعة العرب كتاب 'سرو عشر مقالات'، أمر يحيى بن خالد بتفسير منكه الهندي في ابن دهن، كتاب ميرك فسره عبيدالله بن علي من الفارسي إلى العربي لأنه أولا نقل من الهندي إلى الفارسي كتاب سند سناق، معناه كتاب صفوة البخج، تفسير ابن دهن صاحب البيمارستان، كتاب مختصر للهند في العقاقير، كتاب علاجات الحبالى للهند،^{٢٣} كتاب توفشئل فيه مائة داء ومائة دواء، كتاب روم الهندية في علاجات النساء، كتاب السكر للهند، كتاب أسماء عقاقير الهند فسره ابن منكه لإسحاق بن سليمان، كتاب رأي الهندي في أجناس الحياة وسمومها كتاب التوهيم في الأمراض والعلل لتوفشئل الهندي^{٢٤}.

المعاني والبيان :

حكى الجاحظ أن معمرا أبا لأشعث قال : قلت ليهذه الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند. ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال بملء: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك، ولم أعالج هذه الصناعة فأتق من نفسي بالقيام بخصائصها، ونلجس لطائف معانيها قال أبو الأشعث فلقيت بذلك الصحيفة الترجمة فإذا فيها أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل الخط، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلمة الأمة ولا يملوك بكلام السوق، ويكون في قسواه فضل للنصرف في كل طيفة، ولا يذقق المعاني كل التدقيق ويفتح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفبها

^{٢١} المعجم ص : ٤٩٨

^{٢٢} المصدر السابق.

^{٢٣} نفس المصدر ص : ٣٠٢ نقلا عن مجلة ثقافة العدد ١٥٨ - ١٦٠ ج ١١، عدد ١١ - ١٩٩٠م

^{٢٤} المعجم ص : ٣٠٣

كل التصفية ولا يهدمها غابة التهذيب ولا بقول ذلك حتى يصادق حكيماً أو فيلسوفاً عظيماً^{٣٥}.

القصص والأساطير :

وقد ترجمت عدة من كتب القصص والأساطير إلى العربية منها كتاب سندباد الحكيم، ومنها قصة دينك الهندي تدور حول رجل وامرأة^{٣٦} ومنها قصة جواد وبخيل، والناقضة بينهما^{٣٧}.

الأخلاق والحكمة :

من أهم الكتب المؤلفة في هذا الموضوع كتاب "كلية ودمنة" نقل قبل الإسلام بكسر إلى اللغة الفارسية في عهد الساسانيين ثم ترجمه عبدالله بن المنفع إلى اللغة العربية في منتصف القرن الثاني للهجرة، وهذه الترجمة العربية قد بلغ الذروة في الأصالة والوضوح^{٣٨}.

ثم نقل هذا الكتاب من العربية إلى لغات أوروبا وآسيا وأفريقيا والكتاب الثاني "بوداوصف وبلوهو" وإن كان أقل شهرة من كلية ودمنة ولكن يفوقه في القيمة والعلو.

هنا من ناحية ومن ناحية أخرى نرى أن الهنود اعتمدوا باللغة العربية من عهد قدم فأولاً لأسباب تجارية وسياسية ثم إذا برغ نور الإسلام ووصلت أشعته إلى أرض الهند بذلوا جهوداً جبارة في تعليم اللغة العربية وذلك بسبب أن الدين الحنيف يوجب على كل من يمتنع الإسلام بأن يقرأ جزءاً من القرآن في صلواته الخمسة ويفضل أن يكون فاعها مما يقرأه وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بدرجات عالية في الدنيا والآخرة لمن يتعلم القرآن وعلمه ولذا اهتم المسلمون منذ فجر الإسلام إلى أيامنا هذا بتعليم وتدريب اللغة العربية ولما اجتمعت أسباب أخرى مثل التجارة والسياسة وما إلى ذلك فإنها أصبحت أكثر أهمية. فقد تعلم الهنود اللغة العربية وظنوا عمالكفين على تدريسها وتعليمها حتى جاعوا بمؤلفات فذة نادرة في كسل

^{٣٥} البيان والبيان ص ٧٨/١ نقلاً عن ثقافة الهند ص ١٥٩، الهند ٥٦، العدد ١، عام ١٩٩٠م

^{٣٦} المصدر ص : ٣٠٥

^{٣٧} نفس المصدر ص : ٣٠٥.

^{٣٨} مجلة ثقافة الهند ج ١٤٩ عدد ٣ مجلة ثقافة الهند ص ١٥٨-١٦٠، ج ٤٦ : العدد الأول، عام ١٩٩٠.

فن فنون اللغة العربية ونبغ فيهم الأدباء والشعراء نالوا شهرة عالمية في الأدب العربي. ويكتب في هذا العدد الشيخ أبو الحسن علي الندوي :

"إن مؤلفات المسلمين في الهند في العلوم الإسلامية لا تحصى كثرة وذلك موضوع كتاب كبير... وأخص منها أولاً ما ألف باللغة العربية ومن هذه الكتب العالمية، كتاب "انجاب الزاهر" للإمام حسن بن محمد الصعاني اللاهوري، (من رجال القسطنطين السابع الهجري)، الذي عد من مراجع اللغة العربية، وكذلك كتابه "مشارك الأنوار" في الحديث من الكتب المشهورة المقبولة في العالم الإسلامي.

ومنها "كثر الاعمال" للشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانفوري (م ٩٧٥هـ) وهو ترتيب "جمع الجوامع" للسيوطي.

ومنها كتاب "بجمع بحار الأنوار في غرائب التزيين ولطائف الأخبار، للشيخ محمد طاهر البيني (م ٩٨٦هـ). وكذلك كتابه "تذكرة الموضوعات" من الكتب السائرة المتداولة في الموضوع.

ومنها "الفناوى الهندية" التي تعتبر من المراجع الفقهية الكبرى للفقه الحنفي وقد ولى السلطان اورنگ زيب عالمكير التيسوري الشيع نظام الدين البرهانفوري، في أوائل سلطنته تدوينها باستخدام الفقهاء الحنفية وقد ذكر المؤلف أربعة وعشرين رجلاً من كبار علماء الهند في ذلك العصر ساهموا في تدوينها، وكان أربعة منهم وهم القاضي محمد حسين الجونفوري المحتسب، والشيخ علي أكبر الحسيني أسدالله خاني، والشيخ حامد بن أبي الخلد الجونفوري والمفتي محمد أكرم الحنفي اللاهوري قد تولوا أرباعها، لكل واحد منهم الإشراف على ربع الكتاب.

ومنها كتاب "مسلم الثبوت" في أصول الفقه للعلامة محب الله بن عبدانثكور الحنفي البهاري المتوفى (١١١٩هـ). وتناوله كبار العلماء في عصورهم بالتدريس والشرح وكانت له عشرة شروح لكبار الأساتذة الفضلاء في الهند.

ومنها كتاب "كشاف اصطلاحات الفنون" للشيخ محمد علي التهانوي من رجال القرن الثاني عشر، تلقاه المشتغلون بالعلم في بلاد العرب بالقبول وأثنوا عليه لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يعنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب.

وفي هذا الموضوع كتاب آخر وهو "جامع العلوم" المشهور بدستور العلماء في أربعة مجلدات للشيخ عبدالنبي بن عبدالرسول الأحمدي مكري من رجال القرن الثاني عشر أيضا.

ومنها بل من أعظمها "كتاب" "حجة الله البالغة" للإمام الشاذلي ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦هـ) في أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي وهو كتاب مبتكر في موضوعه لا يوجد له نظير في المكتبة العربية على سعتها.

ومنها كتاب "ناج العروس في شرح القاموس" للسيد مرتضى ابن محسن البلكرامسي المشهور بالزبيدي (م ١٢٠٥هـ) الذي هو أشهر من أن يعرف. وهو مكتبة لغوية عظيمة في عشرة مجلدات كبار. وقد اشتهر أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثماني نسخة.

وقد نبغ في اخذ في القرن الرابع عشر الهجري مؤلفون فاقوا في العالم الإسلامي كله في سرعة التأليف وكثرة المؤلفات وضحامة الإنتاج. وكان كل واحد منهم مجتمعا علميا نشيطا وقد قام بعضهم شخصيا مما لا تقوم به مجامع علمية في أكثر الأحيان. فالنواب صديق حسن بن اولاد حسن القنوجي أمير بهوفال (م ١٣٠٧هـ) يبلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتي كتاب (٢٢٢) منها ستة وخمسون (٥٦) كتابا في اللغة العربية. وفيها كتب كبار ذات قيمة علمية، منها "فتح البيان في مقاصد القرآن، في عشرة مجلدات كبار، وأنجد العلوم، والتاج المكمل، والبلغة في أصول اللغة والعلم والخفاق من علم الاشتقاق.

ويبلغ عدد مؤلفات علامة الهند فخر المتأخرين الشيخ عبدالحى ابن عبد الخليم اللكهنوي (م ١٣٠٤هـ) مائة وعشرة كتب (١١٠) منها ستة وثمانون (٨٦) كتابا بالعربية، من أشهرها وأجملها "السعاية في شرح الوقاية" ومصباح الدجى" و"التعليق المجدد" وظفر الأمان و لا يزال كتابه "الفوائد البهية" عمدة المؤلفين في تراجم علماء المذهب الحنفي ومرجعهم الكبير.

ويبلغ عدد مؤلفات المصلح الكبير المرثي الشهير مولانا أشرف علي النهانوي (١٣٦٢م-١٩١٠) تسع مائة وعشرة (٩١٠) منها الصغير، والكبير منها ثلاثة عشر كتابا بالعربية. هذا غيض من فيض وإن أراد أحد أن يستوعب مساهمة الهنود في الأدب العربي في كل أصنافه فيمكن له أن يلقي نظرة على ما كتبه الشيخ عبد الحي الحسيني في كتابه "الثقافة الإسلامية في الهند" ونقدم هنا ملخص ما كتبه في الأدب والشعر فيقول:

"ومنهم الشيخ سعد بن مسعود بن سلمان اللاهوري وهو أول من سرع في العلوم العربية من أهل الهند وأكثر في الشعر وجمع ديوانا له ولكنه طارت به العتقاء ومنهم الأمير خسرو ومنهم القاضي عبدالمقتدر الدهلوي والشيخ احمد بن محمد النهانيسري والشيخ ابوالفتح بن عبدالحفي بن عبدالمقتدر والشيخ غلام نقشبندی والسيد عبدالجليل بن مهر احمد الحسيني البلكرامي، والسيد غلام علي البلكرامي والشيخ الأجل الشاه ولي الله الدهلوي والشيخ باقر بن مرتضى المدراسي ومولانا علي عباس الجرياكوتلي، ومنهم مولانا أحمد حسن بن أولاد حسن الفنوجي.

ومنهم السيد صديق حسن بن أولاد حسن الحسيني البخاري الفنوجي، صاحب المصنفات الكثيرة الشهيرة، له قصائد عراق بالعربية منها قوله:

بخترت بين أماكن الغراء	دار الكرامة بقعة الزوراء
هل لي مكان فيه أطلب راحتي	من دونها في البر والدأماء
كيف الوصول إلى منازل طيبة	فيها لمنقر حصول رجاء ^{٣٩} .

وبخلاصة القول أن اصفود ساهموا مساهمة فعالة في اللغة العربية نرا ونظما وحائوا بكتب قيمة تعبر من أمهات الكتب العربية ولا تزال تدرس اللغة العربية في الهند في المدارس الدينية التي تعادل في مستواها الكليات الحكومية والجامعات العصرية كلغة حية راقية حتى يومنا هذا.

^{٣٩} ثقافة الإسلامية في الهند للشيخ عبدالحفي الحسي (ص ٢٤-٢٥) مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - عام ١٩٥٨م.

ظهور بهوبال كمركز للعلم والثقافة

ظهرت في العصور الوسطى للهند عدة مراكز للعلم والثقافة في البلاد حيث كسان يتوجه طلاب العلم إلى هذه المناهل ويروون غليلهم ومن أهم هذه المراكز العلمية مدينة لاهور ومندان وغوجرات وجونفور ولكناؤ ودهلي. ومدينة دهلي فاقت الجميع ولم يعد لأي مركز أن يبلغ شأواها إلا أن مدينة بهوبال أصبحت نظيرة لدهلي في عصر الثواب شاه جهان بيكم والثواب صديق حسن خان وذلك بفصل رعتهم الشديدة في استخدام العلماء والفضلاء والأدباء والشعراء وسخاءهم وجودهم وكرمهم.

سميت مدينة بهوبال باسم الملك الذي بناها ألا هو الملك "هوج بال" التي حكم المناطق الواقعة في نطاقها "بهوبال" وذلك في سنة ١٠٥٠م. وبهوبال نحوي علي جمال وبحيرات عديدة ورأى الملك بحرين لا توجد بينها مسافة طويلة وأعجته مناظرهما فبنى حسراً كبيراً بينهما. فاشتهرت المدينة باسمها حيث أن "هوج بال" كلمة مركبة من كلمتين : هوج هو اسم الملك المؤسس و"بال" معناها الجسر باللغة اغلية وبكثرة استخدام الكلمة سقط حرف الجيم وبقيت بهوبال والتي نكتبها باللغة العربية العربية ((بهوبال)). ثم طور الملك هذه القرية الصغيرة إلى أن حولها إلى مدينة.^{٥١}

وبعد وفاة الملك المغولي اورنج زيب عالمكير (١٦٥٨-١٧٠٧م) اضمحلت الدولة المغولية في الهند ولم يعد لأحد من أحلافه أن يقيم الأمن والاستقرار والنظام والقانون في البلاد وبدأت تنعك الولايات وانتشرت الفوضى واللاقانونية والاستعمار والبريطاني فرصة سانحة لاحتلال البلاد وتم سيطرته عن طريق شركة إيست انديا البريطانية. وفي هذه الفترة بالذات وفي عام ١١٠٨م توجه إلى بلاد الهند مغوار أفغاني دوست محمد خان من أفغانستان إلى بلاد الهند. ونزل في أقرباته في جلال آباد ولاية أترابرايش إلا أنه اضطر إلى الفرار حيث جادل مع أحد زملائه إلى أن اشرعوا السيوف فقتل زميله وفر من هنا وتزل إلى "بان بات" ثم وصل إلى دهلي وانضم إلى جيش الملك المغولي (بهادر شاه الأول) ونظراً لمواهبه تم ترفيته وأرسل إلى مالوه إحدى الولايات الهندية في عصر الملوك المغول التي كانت تقع في جوارها

^{٥١} تاريخ إمارة بهوبال للسيد عابد علي وحسي اسبق ص : (١٦ - ١٥)

بلدة هوبال. وفي هذا الزمن كانت تعم البلاد الفوضى و التلاقانونية فخطرت بياله تشكيل حكومة خاصة فقدم استقالته من وظيفة الجيش واحتل على منطقة بيرسة. والمناطق المحاورة لها.

وفي هذه الأثناء قتل الملك نظام شاه بأيدي بعض أقرباءه. فإن زوجته الملكة راي كملابتي أقسمت على أخذ الثأر منهم ودعت إلى الغزو على منطقة "شين بورباري" وعرضت مائة ألف روبية على النواب دوست محمد خان على أن يساعدها فقبل النواب خان وغزا وفتح تلك المنطقة فسرت الملكة وأعطته (٥٠) ألف نقدا وبلدة هوبال التي كانت تحت أمرها وكانت مدينة هوبال واقعة بين الجبال والبحيرات وتعطي منظرا جميلا فإن الملك اختارها كعاصمة لها^{١١}.

واعتنى على عرش إمارة هوبال نحو ثلاثة عشر نوابا. حسب ما يلي :

نواب (حكام) هوبال

١- النواب سيد دوست محمد خان	١٧٠٨ م سنة تولي الحكم
٢- النواب يار محمد خان	١٧٢٦ م
٣- النواب فيض محمد خان	١٧٤٢ م
٤- النواب حيات محمد خان	١٧٤٢ م
٥- النواب غوث محمد خان	١٨٠٨ م
٦- النواب وزير محمد خان	١٨٠٩ م
٧- النواب نظر محمد خان	١٨١٦ م
٨- النواب السيدة غوهر بيكم قدسية	١٨١٩ م
٩- النواب جهانكير محمد خان	١٨٢٧ م
١٠- النواب السيدة سكندر جهان بيكم	١٨٤٤ م
١١- النواب السيدة شاه جهان بيكم	١٨٦٨ م
١٢- النواب السيدة سلطان جهان بيكم	١٩٠١ م

^{١١} سرالصدر مر ١٥٠-٢٠٠

١٩٢٦م^{٢٢}

١٣- النواب حميدالله خان

وفي زمن النواب حميدالله خان تم انضمام الإمارة الى الاتحاد الهندي وفي هذا الصدد كتب الأستاذ كوثر الصديقي مقالا في "نفوس بهوبال" عنوانه "الأوضاع السياسية لبهوبال وأثرها بعد انضمامها إلى الهند":

"وبعد استقلال البلاد في عام ١٩٤٧م انضمت كل الولايات الحرة إلى الاتحاد الهندي طوعا أو كرها، إلا أن ولاية بهوبال تحت قيادة النواب سر حميد الله خان بقيت على حافا حرة مستقلة.

وظهرت بالقرب من بهوبال "ماديا بهارت" "الهند الوسطى" وكانت البلاد نصم (٢٢) ولاية وحاولت سلطات هندية ضم هذه الإمارة أيضا إلى الاتحاد الهندي إلا أن النواب حميد الله أصر على محافظة استقلالها. ولكن في نهاية الأمر تم الاتفاق بينه والحكومة الهندية وبموجب ذلك تستمر الهند في منحه مساعدة خاصة وتوفير تسهيلات أخرى. وأعلنت الحكومة عن إقامة Chief Commissioner Province وضمت الإمارة إلى الاتحاد الهندي بتاريخ واحد من شهر يونيو عام ١٩٤٩م وعينت السيد ن. ب. بانرجي آئي. سي. ايس بصفته Chief Commissioner الذي كان رجلا معتدلا لم يعمل شيئا يسيء بعامة الناس. وبعد ذلك تم تعيين آئي. فيشوانان آئي. سي. ايس في واحد مايو عام ١٩٥٠م. فإنه باسم إدخال إصلاحات على الإدارة جعل ألوفا من الموظفين عاطلين عن العمل حيث اشترط للموظفين بالمرتبة الثالثة، أن يكونوا حائزين على شهادة الثانوية الأولى (١) - بينما لم يتم تخفيض عدد الموظفين في الولاية المخاورة "ماديا بهارت".

ومن أعماله انه أحل اللغة الانكليزية مكان اللغة الأردية، كلغة رسمية كأن الأردية لغة أجنبية والإنكليزية لغة محلية.

وحسب الدستور الهندي أجريت انتخابات تشريعية في كافة البلاد وكذلك في بهوبال. ونجح حزب الكونغرس بأغلبية ساحقة حسب وحصلت على (٢٥) مقعدا من أصل

^{٢٢} تاريخ إمارة بهوبال للعلامة وحدي (في نور الصمدية)

(٣٠) معقدا للولاية وعين الدكتور شانكر ديال شرما، أول كبير وزراء الولاية. والذي فيما بعد شغل منصب رئيس جمهورية الهند أيضا.

و لم تكمل الحكومة الجديدة فترتها الخمس سنوات أن أصدر أمر لإعادة تنظيم الولايات الهندية على أساس اللغات المحلية وحسب ذلك تم ترسيم حدود الولايات من جديد. وعلى أساس اللغة المنطوق بها في منطقة وظهرت "ولاية جديدة" باسم مادها براديش بتاريخ ١/نوفمبر عام ١٩٥٦م وبمحاولة من الدكتور شانكر ديال شرما جعلت "مدينة هوبال" عاصمة لها^{١٢}.

وبالنسبة لتحويل المدينة إلى مركز علمي وثقافي فقد حاول كل من هؤلاء النواب الذين اعتلوا على عرش إمارة هوبال محاولة جادة في إقامة الأمن والاستقرار وتطوير المنساح العلمي والثقافي في الإمارة خلال حكمهم وبفضل جهودهم التي بذلوها حسب ما تيسر لهم الفرصة والعدة طوروا المدينة إلى مركز علمي وثقافي وبدأ يتوجه الناس من العرب والعجم إلى هذه البلدة الصغيرة المحمولة الذكر.

النواب دوست محمد خان، مؤسس إمارة هوبال :

كان النواب دوست محمد خان يقدر أصحاب العلم والفضل، وكان متضلعا بالإنشاء والأدب الفارسي حيث يكون بلاطه حافلا بالعلماء والأدباء من المسلمين والمهندوس، كان أشهرهم القاضي محمد معظم السنيلي والقاضي محمد صالح و راجه فيجاي رام ديوان.

ويكتب عنه الشيخ علي نسرهندي في كتابه "تاريخ هندي"

"كانت هوبال تستحق بأن تسمى "دارالأمن" في أتم معنى الكلمة حيث كان يتردد العلماء والفضلاء إلى هوبال من مختلف أنحاء الهند، وكان يجلس على مأدبة النواب جماعة من الفقهاء والعلماء الذين يفضلهم شاع العلم والثقافة وأصبحت المدينة تذكروا^{١٣}.

^{١٢} نوفر هوبال ص (٩١٨-٩٢٦)

^{١٣} تاريخ هندي، معلم رستم علي نسرهندي ص ٢١١- تنلا نواب مدهي حسن خان بقلم د. رحمة سامه ص ١٢٤

النواب فيض محمد خان

لم يمهل الصراع السياسي والحرب الأهلية النواب فيض محمد خان أن يدعو أو يستقدم العلماء من خارج الإمارة كي يستعين بهم في التطور والتنمية العلمية للإمارة. ومات النواب في ١٧٧٧م للميلادي ونولى الإمارة ابنه حبات محمد خان وكان وزيره "ديوان خان الصغير" وكان هذا الوزير إداريا محنكا بالدرجة الأولى إلى جانب ندينه ووجهه وتقديره للعلم والعلماء فاستتب في عصره الأمن والسلام في الإمارة وكان الناس في حالة جيدة كما قام بتحسين المدينة والحفاظ عليها ورفاهية الناس وإزدهارهم بحسن إدارته وتدييره وأقام المكتاتب في المساجد واستضاف العلماء والفضلاء والواردين من الخارج وقام برعايتهم. ويكتب الشيخ ذوالفقار احمد النقوي في كتابه "تذكرة قضاة هوبال":

"كتب الوزير "ديوان خان الصغير" إلى حضرة الشيخ الشاه عبد العزيز رسالة مفادها أن يشرف إلى هوبال. وأنه يمنحه إقطاعية ما قيمتها (١٢) ألف روبية . إلا أن الشاه قلن : بلغت من العمر شيئا لا يمكنني فيه مغادرة دهي. ولكنه أرسل بعض العلماء برسالة مشفوعة منه إلى هوبال الذين جاهدوا في سبل نشر العلوم الدينية والمادية. وفي هذا العصر بالذات تقلبت الحضارة الشرقية للهند على الإمارة إلى درجة أن هوبال أصبحت جزءا من دهي.

في عام ١٨١٥م مات النواب وزير محمد خان ونولى الأمر ابنه نظر محمد خان وكان النواب الجديد رجلا محنكا، إداريا، ذا فهم بالغ. انه تزوج مع بنت النواب غوث محمد خان، غوهر بيكم قدسية وهذا وضع حدا من الحروب الأهلية التي تأكلت وخربت الإمارة، كما قام النواب نظر محمد بعقد اتفاقية مع الحاكم العام للحكومة البريطانية في الهند اتفافية صداقة ونهاهم، ووفقا لهذه الاتفاقية كانت على شركة إيست انديا الحاكمة في الهند أن تحافظ على الإمارة بحبسها ومقابل ذلك تتحمل الإمارة نفقات الجيش وتلتزم بالأموال السياسية الأخرى. وهكذا استطاع النواب من توفير الأمن والازدهار في الإمارة ومهد الطريق للتطورات العلمية والثقافية.

لقي النواب نظر محمد خان حتفه في عام ١٨١٩ء وتم تعيين ابنته سكندر بيكم خلفا له ولم تبلغ من العمر إلا سنة وثلاثة أشهر فبادن من شركة إيست انديا البريطانية تم تعيين

أرملتها فدس به بيكم حاكمة للإمارة فكان الناس في عصرها في أحسن حال اقتصاديا دعت العلماء والفضلاء والأدباء من خارج المدينة و أسكتهم في هوبال وأقامت مدارس كذلك. وفي عام ١٨٢٥م نزل النواب جهانكير محمد خان زمام الإمارة ونزوح مع سكندر بيكم وفي زمنه تطورت هوبال تطورا كبيرا من كل النواحي أي الثقافة والعنمية والسياسية والاقتصادية وفي فترة ولايته توجه عدد كبير من العلماء والفضلاء والأدباء إلى إمارة هوبال وعلى سبيل المثال القاضي شريف حسين، والحكيم محمد اعظم وعبد الله شاخ الصوفي وغيرهم. وكان النواب جهانكير محمد خان شاعرا صاحب ديوان وكان يعين هؤلاء على مناصب جليلة في الحكومة. وهذا السبب توجه عدد كبير من الشعراء إلى هوبال ومحهم إقطاعات كبيرة ومشجعات وجوائز. وفي هذا المضمار حاول النواب في حث الشاعر الأردني الكبير حكيم مؤمن خان أن يقدم إلى هوبال ولكنه لم يرض بمغادرة دهمي.

النواب سكندر بيكم

وفي عام ١٨٤٤م مات النواب جهانكير محمد خان وعينت شاه جهان بيكم خلفا لها. ولم يبلغ من العمر إلا سبع سنين فجعلت أمها سكندر بيكم حاكمة للإمارة. وكانت هذه المرأة ذات حنكة بالغة وكانت تتمتع بصلاحيات وقدرات هائلة في الإدارة والحكم. فقامت بجولات إلى مختلف المناطق (للإمارة وأدخمت) بإصلاحات جذرية على كافة المستويات من البريد إلى تسيق مكتب الإمارة وأثناء هذه الجولات التقت بكبار الشخصيات وذوى النفوذ ودعت العلماء والفضلاء إلى زيارة هوبال والإقامة فيها وكانت تقدر العلبوم والفنون. وفي زمن الثورة ١٨٥٧م ضد الاستعمار البريطاني إنما وجهت الدعوة إلى رئيس الشعراء بالأردنية أسد الله خان غالب أن يقدم إلى هوبال وإنما تتحمل كافة المنصروفات المترتبة على ذلك إلا أنه فضل البقاء في دهمي.

كانت النواب سكندر بيكم مولعة بالعلم والثقافة وتقدر أهل العلم والفضل وفي زمنها ورد صديق حسن خان من فوج إلى مدينة هوبال وانضم إلى بلاطها وفي عام ١٨٥٦م عينته كاتباً لتاريخ الإمارة. وفي عصر النواب سكندر بيكم تطور العلم والفن

تطورا كبيرا حيث كان قد اجتمع عدد كبير من العلماء والأدباء الذين اشتغلوا بالتأليف والكتابة وأقيمت بعض المطابع أيضا مثل مطبع سكندري في عام ١٨٥١م.

ولنشر العلم ومحو الأمية أقامت النواب سكندر بيكم مدارس أردية-هندية وفي المدينة هوبان نفسها أقامت مدارس لتعليم اللغات العربية والفارسية والإنكليزية إلى جانب التعليم الصناعي والمهني وفي هذا المضمار بذلت عنايةها في تعلم البنات وجعلت لها نظاما مناسباً.

كانت النواب سكندر بيكم تحترم الفقراء والصوفياء وكانت تعامل مع العنماء والقضاة والأسايد والنباتخ على قدر مستواهم العلمي والثقافي. ونوفر لهم تسهيلات واستنتهم على تقديم النذر والمنايا والحضور إلى البلاط.

وفي عصرها قدم رجال العلم والفن بعدد كبير إلى هوبان وبعد وفاة النواب سكندر بيكم إهتم النائب الأول للإمارة الشيخ جمال الدين خدان بنقل ترجمة القرآن الكريم للشيخ ولي الله الدهنوي المعروف بـ "فتح الرحمن" إلى اللغة التركية. من مطبع خديو عصر وقسم بالترجمة التركية الشيخ خيرالدين حيدرآبادي وذلك على كفاية منه.

كانت ترغب النواب سكندر بيكم رغبة شديدة في دراسة الكتب مما وسعت نطاق معلوماها. فكانت تحب قراءة كتب التصوف والتاريخ الهندي وقد اعطت تعليمات للوراثين أصحاب المطابع أن يرسلوا إليها كل الكتب النادرة المتوفرة لديهم. فإنها اهتمت بإكمال تفسير فتح العزيز (للشاه عبدالعزيز الدهلوي) وأسندت أمرها إلى الشيخ حيدر علي مناظر اللكنوي وحددت له راتباً بقدر (٥٠٠) روبية شهرياً. وكتبت أربع مخطوطات منها حتى "المحسسات" توجد في مكتبة العلامة شبلي نعماني لدار العلوم بدرة العلماء لكتاؤ.

وكان الشيخ جمال الدين النائب الأول للإمارة رجلاً عالماً فاضلاً ورعاً يحب العلم والعلماء ويساعد الأمراء في نشر وتطوير العلوم والفنون فإنه قام بطباعة تراجم القرآن الكريم بلغات أردية وفارسية وتركية واليشتوية في العرب والحجم.

ونوفيت النواب نواب سكندر بيكم في ٣٠/أكتوبر عام ١٨٦٨م وفي ولايتها كان قد اجتمع هناك كبار العلماء والأدباء مثل الشيخ زين العابدين وعبد القادر نعماني والشاه رؤف احمد رافت، والشيخ عبدالقيوم الفرنكي محلي، والشيخ حبيب احمد روهت، والمخيم

فرزند علي والحكيم اصغر حسين الفرخ آبادي والشيخ جمال الدين خان والشيخ احمد علي الأشهري.

ويكتب الشيخ سيد سليمان الندوي عن الوضع الثقافي والعلمي في هوبال :
 "وجاء بنور العلم إلى هوبال الشيخ عبدالقيوم ابن الشيخ عبدالحي البرهانوي أحد أقرباء أسرة الشيخ الشيخ ولي الله الدهلوي وجاء بنور المعرفة الشيخ شاه رؤف احمد المجددي الذي كان خليفة نلشاه غلام علي الدهلوي واحد أبناء الشيخ الإمام احمد بمحمد ألف تان. ثم في زمن الشيخ جمال الدين النائب الأول للإمارة والنواب صديق حسن خان تحولت المدينة إلى مركز العلم والثقافة حيث اجتمع فيها الكثير من العلماء والفضلاء من الهند والعرب"^{١٥}.

وبعد وصوله إلى هوبال بدأ النواب بتأليف الكتب شخصيا ووجد في ذات الشيخ جمال الدين مريبا ومرشدا كبيرا.

وبعد زواجه الثاني مع شاه جهان بيكم دفع عملية التأليف دفعا. وقدر النواب صديق العلماء والفضلاء واجتمع في هوبال عدد كبير من العلماء والفضلاء من الهند وخارجها وفي وقت قصير تحولت المدينة إلى مركز علمي وثقافي، وأنه لم يكن هناك أية مدينة في الهند تحفل بهذا العدد من العلماء والأدباء.

تكتب السيدة قمر النساء قمر في إحدى مقالاتها المطبوعة في "نقوش هوبال" :
 "إن في عصر النواب شاهجهان بيكم ازدادت الأعمال العلمية والبحثية لا يوجد هنا نظير في تاريخ هوبال من قبل أو بعد. وكان كبار العلماء والأدباء والشعراء والمفكرين اشتغلوا بالأعمال البحثية بفضل تشجيع من النواب ومساعدتها السخية فكانوا يسدون خدمات دينية وعلمية وبحثة وكانت تولى النواب أهمية كبيرة إلى نشر الدين، كانت تعمل بشدة على الدين كما قات بتأليف العديد من للكتب... والدليل على عنايتها الخاصة بنشر الدين أن مدينة هوبال تحولت في عصرها إلى مركز هام للعلماء والفضلاء. وحتى هذا اليوم تعرف مدينة هوبال بعدد من الشخصيات الدينية والعلمية.

^{١٥} حيات سليمان لشيخ معين الدين احمد ندوي ص ١٥٦، قلا عن نواب صديق حسن خان بقلم وصه حامد، ص ١٥٠-١٥١.

وكان عصر النواب شاه جهان بيكم عصر بناء و تطوير الحضارة الشرفية و كلنت لديها رغبة شديدة في بناء المباني والمساجد إلى درجة أنها بنت "تاج المساجد" المعروف في أرجاء الهند ومن حسن حظ النواب بيكم أنها هي المرأة الوحيدة من شبه القارة الهندية التي بمناسبة زيارتها إلى بريطانيا في عام ١٨٨٩م، بنت أول مسجد للمسلمين في لندن^{١١}.

علمنا من السطور أعلاه أنه كيف تطورت إمارة جو بال شينا فشينا إلى أن تحولت في عصر النواب شاه جهان بيكم إلى مركز للعلم والثقافة و وجهة للعلماء والفضلاء أصبحت ثاني دهي للدراسات العربية والإسلامية .

^{١١} نفوس موبال (ص ١٣٢-١٣٣)

الثواب سيد صديق حسن خان: ولادته وتعليمه ووصوله إلى إمارة بھوبال

نشأته وتعليمه :

أحد أبناء الهدى الأفاضل الذي فرع كل باب من أبواب العلم والمعرفة فرع فيه وأصبح مرجعاً وغاية يتوجه إليها فهو إمام التفسير والحديث والفقه والمطلق والفنسة والشعر والأدب . هو بحر العلم والثقافة لكافة العلوم الإسلامية والعربية الذي أثار غنونة في الأوساط العلمية وأدهش الناس بكثرة تأليفاته وتصنيفاته في كل فن من الفنون العلمية والأدبية حتى قال من قال أنه نابغة الهند وسيوحي الزمان ولم ير أحد مثله في الزمان هو الثواب أبو طيب سيد صديق بن حسن بن علي الفنوجي. ولد يوم الأحد في شهر جمادى الأولى ١٢٤٨هـ الموافق ١٣/أكتوبر عام ١٨٣٤م في قرية "بانس بريلي" في بيت جده عن الأم. وبعد أيام قليلة جاءت أمه الحنون من بلدة بريلي إلى منطقة فنوج التي كانت موطن أبيه وحده.

ولم يبلغ الثواب السسة الخامسة من عمره إلا ورحل أبوه إلى جوار رحمة الله. وهكذا بدأ الثواب حياة يتم ولم يكن هناك أحد من الأقرباء المقربين الذي يقوم بكفالته ورعايته ويمد إليه يد العون والشفعة والرحمة والحنان . كما لم تكن هناك أموال وممتلكات إلا بعض قطعات الأراضي والحدايق وما كان هناك سبب أو وسيلة ما يسد به حاجته.

ويكتب نفسه عن حالة يتيمه "كان نبينا صلعم يتيما وبالرغم من كونه صلعم أمراً جعله الله سبحانه عز وجل ناسخاً لكافة الملل والنحل وصلة نافهة بهذه الدات الكريمة مزية سعادة واختار وينطبق علي أيضاً هذه الآية الكريمة ((الم بجدك يتيما فأوى))

وعلى كل حال تولت الأم إلى مهمة تربية ابنها الحبيب وما أحسن ما قامت همسه المرأة الصالحة العاملة على أسوة النبي الكريم بتربية حسنة ويذكر عنها الثواب "أنه لما بلغت من عمري السنة السابعة وكان مبنى المسجد أمام بيبي أتذكر جيداً انه إذا كان المؤذن يرفع الأذان لصلاة الفجر وكنت نائمة فكانت أمي الحنون توقظني وتوضي و تفودني بذاتها إلى

^١ مآثر صديقي ج ٢، ص ٢٠١.

^٢ إبقاء المر ص ٨٩

المسجد وما كانت تسمح لي بأن أؤدي الصلاة في البيت. وإن أكن غارقاً في النوم كانت ترش عني وجهي ماء^٦.

دخوله في المكتب :

فأولا قامت الأم بتعيين مدرس خصوصي لتدريس النوات فبدأ علي يديه دراسته بقراءة القرآن الكريم وقرأ بعض أجزاء القرآن الكريم و ما بقي فقد قرأه بعد وصوله إلى سن المراهقين. وفي اللغة الفارسية فكان قد قرأ "كربما ما مقبمان"، وبعض الصفحات من كتاب "بوستان" وبعض الأبواب من كتاب "كلستان" وقرأ بنفسه بعض الكتب الفارسية الأخرى. ويقول عن رغبته في قراءة ودراسة الكتب انه إذا كان الشيخ حمسي "خادم والده" ينظف الكتب ويضئ بها بضوء الشمس كان لعبنا أننا كنا نفتح كتابا ونقرأ من مكان وننظر إلى آخر. فكنا نفهم البعض ولا نفهم الآخر وبفضل التصفح استفرت رغبة طلب العلم في قلبي^٧.

ويكتب في مكان آخر أكون مشتاقاً دوماً إلى قراءة وفهم كل كتاب تصل إليه أيدينا فما وقع بيدي أي كتاب أو قصة أو رواية سواء كانت بالشر أو الشعر إلا وقرأتها مرة مس أولها إلى آخرها. وحتى قرأت فسانه عجائب ومرائي مير نقي مير غنيمت يوسف زليخا سكندر تامه ابوالفضل؛ توفيعات سه نثري ظهوري بدرشا وكل الدواوين الفارسية والارديّة التي معروفة ومشهورة وليس هناك أي كتاب لم أقرأ واستفدت من كل هذه الكتب بناء علي مبدأ "خذ ما صفا ودع ما كدر" وحفظت عن طهر قلبي الجمل والفقسمات الأدبية الحلوة وهكذا في بداية عمري حصلت علي كفاءة ومقدرة كافية لتحصيل العلم^٨.

ومن باب التعليم الكتابة بخط اليد فأحسن النوات في هذا الصدد حيث كان خطه جميل جداً رغم انه لم يتعلم ذلك من خطاط. فكان يكتب في بداية العمر بقلم غامق وفي

^٦ إهداء المتن ص ١٤

^٧ إهداء المتن ص ١٦

^٨ مآثر صديقي ج ٢ ص ٤٤

أواخره بدأ يكتب بقلم دقيق وبما انه كان مكثراً الكتابة أصبح سريعاً وممتازاً في هذا الفن والمخطوطات بيد قلمه الموجودة في المكتبات دليل واضح على ذلك.

دراسة الكتب الأولية.

في مستهل عمره تعلم الفنون المختصرة من أخيه الكبير الشيخ احمد حسن العرشي فإنه قرأه ميزان الصرف منشعب، تصريف زبده، مختصر المعاني، قذيب شرح منطق، شرح قذيب بديع الميزان وغيرها.

ثم ذهب به الشيخ سيد أحمد عمي، أحد أصدقاء ومحبي والده، إلى مدينة فروخ آباد. وأقام فيها نعدة أشهر فقد قرأ كافية وشرح حاملي من الشيخ محمد حسين الشاه جهانبوري وهداية النحو وايساغوجي من الحكيم اصغر حسين من المنتشى غلام غوث المحترم الفروخ آبادي، وتلقى دروس القطبي ودرالمختار ومشكوة المصابيح من العلماء المشهورين الآخرين إلا أن قراياته في هذا السن كانت حالية من وعي وحديفة.

وفي هذه الأثناء لقي الشيخ مردان علي وبعض محبي والده الذين ذهبوا به إلى مدينة كانفور حيث واصل دراسته فإنه تلقى دروس فوائد الضيائية من علماء هذه المدينة وقرأ من الملا محمد مراد من سكان بخارا ونزيل المدينة درسا أو درسين من كتاب قطبي، والشيخ محمد محب الله البالي بي بعض الدروس من شرح جامي. إلا أن الثواب تأسف لهذه الفترة حيث انه لم يتم بدراسة جدية فيها. ولم ينطور ثقافة وعلماء. ولكن المذوق العلمي الذي كان قد وهبه الله العزيز المان لم يذهب سدى ولم يضع نفسه تماماً فانه صاحب مجالس العلماء ومجالس الوعظ. وما كانت تعقد في المدينة ندوة علمية و دينية إلا ويكون الثواب موجوداً فيها.

مصاحبة العلماء وحضور مجالسهم :

فقد ذكر بنفسه^١ بعض هذه المجالس والندوات العلمية التي حضرها العلماء الأجلة لتلك المدينة الذين إتقى بهم فقي مدينة فرخ آباد التقى بالشيخ مردان علي البنداروني وفي

^١ إبناء السن من ١٢

مدينة كانفور الشيخ سلامة الله كاشفي والشيخ عبد الخليم انلكنوي والشيخ سحاوت علي الجونبوري والشيخ حرّم علي البلهوري حيث شاركت في مجالس هؤلاء العلماء. كما ساحت لي الفرصة مراراً أن احضر مجالس الشيخ يحيى علي والشيخ فياض علي العظيم آبادي والشيخ فخر الدين والشاه علام رسول الكانفوري وغيرهم من إساتة العلم والفلسفة والنسوف فتمتعت بمجالسهم كما أتي سعادت بلقاء الشيخ زين العابدين الإله آبادي في دار الشاه بذاته. وسمعتا وعظ الشيخ محمد علي الطونكي الذي كان خليفةً لمجدد العصر العلامة سيد احمد الريلوي وكان الشيخ ولايت علي والشيخ عنایت علي من كبار العلماء ولما وردا إلى مدينة قنوج، حضرا بأنفسهما للقاء الثواب في منزله ولدى معودة قالوا "اسمع يا بني لا تنس أن تقرأ كتاب بلوغ المرام وكان قد بلغ من عمره الحادي عشر أو الثالث عشر" وأثرت كلمة الشيخ في نفسي إلى درجة أنه بعد الفراغ من تحصيل العلم والانتضمام إلى دولة بهوبال حيث عيّن نظيراً للمدارس، كتب شرحاً لكتاب بلوغ المرام وسماه مسك الختام. ولطباعه هذا الكتاب انه باع كافة مكتبته السابقة وانفق ما حصل منه في سبيل ذلك. وانه من كتبه القيمة وقد تم طباعته عدة مرات.

السفر إلى دهلي :

تمتاز دهلي بكونها عاصمة لملوك الهند وسورا ملوك المغول فحسب بل إنها مثلت مصدراً للعلوم والفنون ومركزاً لكافة البحوث والمعارف منبعاً للسلوك والطريقة. ومرجعاً للإرشاد والتوجيه الديني. ولو أن الطوائف الملوكية وانعطاط المسلمين المتسرع حولتها إلى دار الفتن والتي يمكن تعبيرها بصورة جامعة عن كلمة "دار مهجورة" وذلك كانت توجد في تربتها الظاهرة درر نادرة تجعل تراها أكسيرا للحياة فكان طلاب العلم والسلوك يشدون الرحال إليها ويروون عليهم من منهلها الصافي وقد اعترم النواب علي السفر إلى دهلي طلباً للعلم. ولما وصل الثواب إلى مدينة دهلي لقي الشيخ بشير الدين الفتوحى بن ناظر الدين فانه استقبله بوجه طيب وذهب به إلى بيته كضيف" ثم ذهب به المفتي محمد صدر الدين خان بهادر رئيس الأفاضل والعلماء بدلهي إلى داره وجعل إقامته في دار النواب مصطفى خان بهادر في حي "شتلي قير" وقد أقام فيها لمدة سنتين.

١ - الكتب الدرامية

ولما اطمأن قلبه على الإقامة بدأ الاستفادة من المنهني محمد صدر الدين خان بهادر المحترم درساً درساً فالكتب التي قرأ عليه هي كما يلي : مختصر المعاني إلى آخره ، شرح الوقاية حتى العبادات : واخداية إلى المعاملات وتوضيح أصول الفقه والتلويح . وسلم العلوم بكامله وملاً حسن بكامله و حمد الله بكامله ، وثمس بازغه ومير زاهد ملاً جلال إلى بحث الدلالة ومير زاهد شرح مواقف إلى بحث الوجود وأربعة أجزاء للبخاري. وفي باب التفسير انه قرأ التفسير للبيضاوي (سورة البقرة فحسب) ونصف ديوان المنهني، وشرح عقائد نسفي، وحاشية ملا عبد العلي رسالة مير زاهد، والمقامات للحريزي والمقامات الهندية (بعض الأجزاء منها) وديوان الحعاسة (بعض الفصول) والمعلقات السبعة بكاملها.

وفي عصر تعلمه انه نسخ بعض الكتب يديه. كان يلقي بعض النروس على الطلبة وفي هذا الزمان بالذات كان قد بدأ التأليف إلى حد ما. فالعلوم التي قد حصل عليها في هذا الزمان، تصل أسنادها المتصلة إلى العلامة الشيخ عبد العزيز اندهموي وكان قد أقام الثواب في دهي لمدة ستين. وأحياناً فترة من الزمن قل بضعة سنوات أو بضعة أشهر أو بضعة أيام تكون بمثابة خلاصة وعصارة الزمن العلمي بكامله . وفي هذه الفترة إذا تيسر لطلاب العلوم بحسن حظه أسباب مؤاتية يحصل ما لا يحصل لغيره بل لذلك الشحص بالذات ولو تبدل جهوداً استثنائية لسنين طوال. وينبغي أن نعتبر هذه الفترة لحياة الثواب من تلك الفترات الثمينة القليلة التي تكونت فيها شخصية الثواب ونجحت.

فانه وجد فرصة طيبة للالتقاء برجال الأمة الإسلامية وأصحاب الفضل والكمال. وصاحب جماعة المحدثين والفقهاء والوعاظ وأصحاب الطريقة والسلوك واكتسب منهم العلوم الظاهرية واستضاء بأنوارهم الروحانية. وتال الفنون الأدبية كما شارك في بلاط الأمراء والحكام والملوك وتعرف على أحوالهم وآداب بلاطية. وفي هذا الزمن نفسه وبحسن حظه شاهد آخر منظر للجهاد والجلال والهيبة والجبروت التي كانت تحظى بها السلطنة الإسلامية المغولية. وبنفس العيون التي كانت قد شاهدت اجلال المملكة المغولية، رأته تدهور هذه المملكة ونفككها ودمارها وخرابها بعين الاعتبار ((فاعتبروا يا أولي الابصار)).

هذه الوقائع المؤسفة المؤلمة أثرت في نفس النواب كثيرا وزادته علما وخبرة وعسوة في الحياة العملية كما كشف النقاع عن الاسرار الالهية والانعام والافضال الربانية الكائنة في نظام العالم. ورغبته في بذل مزيد من الجهود في سبيل تحصيل العلوم والمعارف وطلب المرتبة العالية في الدارين وإلى ذلك أشار إذ كتب :

"لولا السنن للهلك النعمان"^{١٧}.

حضوره إلى مجالس كبار الشخصيات من رجال الدين الدولة

خلال الإقامة في دلهي سعد النواب بالتقاء كبار شخصيات الدولة والديين حيث التقى بالملك المغولي الأخير أبو مظفر محمد سراج الدين بهادر شاه وولي عهده المرزا فخرالدين بهادر ومن طبقة الأمراء النواب محمد مصطفى خان مظفر حنك والنواب ضياء الدين خان بهادر والنواب أمين الدين خان بهادر وجائس معهم وتعم في مجالسهم. ومن طبقة العلماء والوعاظ التقى بالشيخ مخصوص الله والشيخ كريم الله والشيخ الحاج محمد والشيخ نواز علي مهاجر مكة المكرمة والخواجة ضياء الدين تلميذ الشيخ قطب الدين مترجم مشكوة المصابيح والشيخ عبدالحالق والشيخ الخطيب حفظ الله، والشيخ عبد الكريم والشيخ محبوب علي والشيخ نصير الدين خطيب المسجد الجامع وشارك في مجالسهم. وقد التقى بالمحدث الشهير نذير حسين الدهلوي إلا أنه لم يصحبه إلا قليلا.

ومن الطلبة المحدثين الذين صاحبهم النواب خلال بقاءه في دلهي الشيخ فيض الحسن السهارنبوري والملا نواب المقيم في مكة المكرمة والشيخ ارشاد حسين الرامبوري والشيخ فضل رسول البدايوني والشيخ ثناء الدين والشيخ محمد التهانوي والشيخ فضل حق الخيراآبادي. كما التقى بنجل الخيراآبادي الشيخ عبد الحق في دلهي فيما بعد وفي مدرسة المرزا مظفر جايجانان الشيخ شاه احمد سعيد والشاه عبد الغني فشارك في مجالسهم الروحانية واستفاد منها كثيرا. وفيما بين طبقة الشعراء المرزا اسد الله خان غالب، اكبر

^{١٧} مائر صديقي ج ٢، ص ١٤٤

شعراء اللغة الأردنية الذي لم يبلغ شأواه أحد حتى الآن. وملك الشعراء شيع إبراهيم ذوق
الدهلوي وإمام بخش صهبائي. فتمتع بحال هؤلاء الشعراء.

وفي بداية حياته في دهلي حضر النُواب مرة إلى الشاعر أسد الله خان بدون أخذ
موعد مسبق أو إشعاره وكان الشاعر مع أحبائه في مجلسه الشعري فقال له مرتجلاً:
بیا برادر آوری بهائی،

ماذا أقدم إليك ولم أكن على علم عنك وعلى كل حال تفضل سأستضيفك وأنشد قصيدة
جديدة له كان كتبها بالتماس من البلاط الملكي بذلك الوقت.
وكان النُواب كثيراً ما يتذكر تلك المناسبة وكلما يتذكر يتمني لو يعود ذلك الزمان.
ويكتب النُواب عن هذه الأيام:

سقى الله وقتاً كنت أخلو بوجهكم
وشرى الهوا في روضة الإنس ضاحكا
أقمنا رمانا والعيون فريزة
وأصبحت يوماً والجنون سواكب^٤.

وبعد إكمال دراسته في دهلي أراد النُواب العودة إلى موطنه وذكر ذلك لأستاذه
المفتي صدرالدين خان بهادر فإنه تكرم بمحة اجازة موقعة ومختومة بختمه ونص الإجازة كما
يلي:

مولوي صديق حسن صاحب قنوجي ذهن سليم وقوت حافظه وفهم درست
ومناسبت تام باكتاب ومطالعه صحيح واستعداد تمام دارند جمله كتب معقول رسمية از
منطق وحکمت واز علم دين اكثر از بخاري وصيزي از تفسير بيضاوي ومعاملات هدايسه
وفقه واصول فقه ومقائد وادب از فقير اكساب نمودند ويستعدانه فهسيده خواندند
وباو حور بسعادت ورشد وصلاح ونيك همادي وصفائ طينت وغيرت واهليت وشرم وحب
در اقران وامائل خود ممتاز اند.

محمد صدر الدين^٥.

^٤ روزنامه غضب ص ١٦٤ نفلأ عن ماز صديق ص ١٦٦/ج ٢

^٥ مجلة المجد ٢٦٠.

"أصدق بأن الطالب صديق حسن خان الفنوجي يتمتع بذهن ناقد وذاكرة قوية وفهم صائب قد قام بدراسة الكتب المقررة الملائمة من المنطق والفلسفة ومن العلوم الدينية ومعظم اجزاء البخاري وبعض الأجزاء من تفسير البيضاوي. كما تلقي مني دروساً من المتداية حتى كتاب المعاملات والفقه وأصول الفقه والعقائد والأدب وأصدق انه حظى باخلاق طيبة."

أساتذة النواب الآخرون

وقد أخذ النواب صديق خان إجازة من بعض الأساتذة ما سوى الأساتذة المذكورين أعمامه وأسماءهم كما يلي : القاضي الشيخ حسين عرب بن محسن بن محمد السبعي الأنصاري الحديدي، والشيخ المعمر عبد الحق بن فضل الله" (من سكان نيو تني) الشيخ محمد يعقوب مهاجر مكة المكرمة فقد أخذ منه الإجازة في كتب الحديث والقرآن الحكيم والشيخ يحيى بن محمد بن احمد بن حسن الحازمي قاضي عدن فقد أخذ منه الإجازة في سنة ١٢٩٥ للهجرة ومن العلامة سيد نعمان خير الدين الألومي، مفتي بغداد في سنة ١٢٩٦هـ، إضافة إلى الإجازات التي حصل عليها من مفتي عاصمة دلهي الشيخ الأجل صدر الدين خان والشيخ زين العابدين بن محسن بن محمد السبعي الأنصاري (حديدي) ^١.

العودة إلى الوطن :

بعد الفراغ من تحصيل العلوم الراجحة في عصره وقد بلغ من عمره الواحد والعشوين سنة عاد إلى موطنه "فنوج" ولم يلبث هناك إلا بضعة أشهر إذ لم يكن هناك أحد غيره يتحمل مسؤولية عائلته. وكان هو المسؤول عن كفاية بيته وكما أن هناك لم تكن وسيلة أخرى تسد بها حاجاته. فأصبح كئيباً حزينا لا يجد أحداً يساعده في المكسب أو مساعدته يرشده إلى وظيفة تكفل أسرته. وكان يتردد على لسانه هذه الآية الكريمة ((فامشوا في مناكبها واكلوا من رزقه)) فبادر إلى تفكيره أن يجول في الأرض.

^١ مآثر صديقي ص ١٧-١٨ / ج ٢

مآثر صديقي ص ٢٧-٣٥ / ج ٢

^٢ مآثر صديقي ص ١٧ / ج ١٨

الرحلة إلى مدينة هوبال :

وقد سمع عن مدينة هوبال والأسرة الحاكمة فيها. فإنه عقد النية على الرحلة طلباً للوظيفة ووصل إليها في (٢٦) يوماً في عام ١٢٧١ لهجرة الموافق ١٨٥٥ للميلادي فلم يكن هناك أحد يعرفه ويكرمه أو عنى الأقل يؤويه فزل في بيت مستأجرة وكانت تحكم في الولاية بذلك الوقت الثواب سكندر بيكم إلا أنها لم تكن تعرفه ولا أحداً من أعضاء الدولة حتى يعرفه بالثواب بيكم أو بأعضاء الدولة. فمتوكلاً على الله عز وجل كتب طلباً بين فيه وضعه الاقتصادي وما لاقى من مشقة للوصول إلى هذه المدينة الآمنة وقدم إلى السلب الأزل للإمارة الكاتب محمد جمال الدين خان بهادر. ومن حسن حظ الثواب انه كان يتواجد هناك الشيخ علي عباس التترياكوفي فإنه أيده متعاطفاً به. والسيد جمال الدين كان رجلاً محباً للعلم والمعرفة وكان يحب العلماء والفضلاء إلى جانب كونه مضيفاً مساعداً ومعيناً لأصحاب الحاجة والفقراء والبؤساء وكافة مدينة هوبال كانت معترفة له بذلك. فإنه بلغ عنه حكايته المحزنة و وضعه المؤسف إلى الثواب السيدة سكندر بيكم التي دعتة إلى بلاطها وأحرت عليه المقابلة وأعربت عن فئاعتها وإعجابها به وباليوم التالي أعطته وظيفة وضمنه فيما بين الموظفين الخواص المرتطين بالبلاط وذلك براتب ثلاثون (٣٠) روبية شهرياً وبالإضافة إلى ذلك كان يتخطب في المساجد أيام الجمعة وكانت من عادته السابقة انه كان يتخطب ويعظ الناس أيام الجمعة في المدينة ولكن طواعياً و مجاناً.

وفي هذه الأيام ذكر مرة أعزاه وأقرباه وهو في ديار الغربية وبعيداً منعزلاً عنهم والمرتب الذي كان يحصل عليه لم يكن كافياً لكفالة أسرته فأراد أن يستقيل ويعود إلى وطنه بنفسها إليه ولكن العبد يفكر و يفعل الله ما يشاء. ففي هذه الأثناء ومن حسن حظله انسه أصبحت وظيفة السكرتير شاغرة فعينه الثواب ذلك المكان براتب قدره خمسون روبية شهرياً.

فصله عن الوظيفة والعودة إلى الوطن

وفي مستهل أيام وظيفته ثم يكن لديه حيرة كافية للعمل والتعامل مع الناس ورجع صاحب العمل الذين كان يشغل تلك الوظيفة بعد ما صفحت الثواب بيكم عن أعطائه.

وعاد إلى مكانه فتحتم على النواب أن يتخني عن ذلك ومن المثل السائر أن المصيبة لا تحل بوحدها بل ترافقها مشاكل عديدة أخرى. وفي يوم من الأيام انه جادل في أمر استباحة وعدم استباحة التدخين المغلي (حفة كشي) فكان النواب يبيحه والشيخ الشرباكوتي كان يرتأى أنه مكروه وهذه المباحة والمجادلة أدت إلى التشاجر والتناظر فيما بينهم وفيما بعد عزله عن وظيفته و تأسف النواب لذلك كثيرا على ما حدث منه تجاه الشيخ الشرباكوتي بدون أي جلوي.

ولما فصل النواب من الوظيفة توجه من مدينة هو بال إلى وطنه فنوج وذلك في شهر المحرم الحرام ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٦ الميلادي. إلا أنه لاقى مشقات ومشاكل كثيرة خلال هذا السفر حيث انه أصيب بحرض (الإسهال) ولم يكن معه أحد إلا خدام وقد لاذ بالقرار فلا يمكن أن يتصوركم كان هذا السفر مؤلما فأقام في مدينة كانفور ليضعة أيام ثم وصل إلى بلدة فنوج في شهر ربيع الأول سنة ١٢٧٣ للهجرة.

الرحلة إلى كانفور وثورة عام ١٨٥٧م

أقام النواب صديق في ما بين أقرباء وأصدقاء عدة أشهر وتمتع بمصاحبتهم لفترة من الزمن إلا أن همومه المستقبلية والحصول على وظيفة تضمن لقمة العيش تغلبت عليه فشرع عن ساعد الجد وقصد إلى مدينة كانفور. ولم يبت في هذه المدينة إلا قليلا إذ حدثت الثورة الكبرى في تاريخ الهند ضد احتلال الإنجليز حيث عمرد أهل البلاد ضد الحكم البريطاني وانتشرت الفوضى والقتال والحرب بين أهل البلاد والجنود المحتلين للإنجليز فكان الظامة الكبرى حدثت بهذا التاريخ في طول البلاد وعرضها.

و إذا شاهد هذا الوضع الفوضوي و المأساوي رقى قلبه واستعاد إلى دهنه فساد ودمار أسرته وبلدته واضطرب قلبه وساءت حالته وكلما تفكر في أهله ووطنه ازداد ألما وحرنا فكان يفكر أن الموت مع الأهل والأسرة أحسن من أن يموت فرادى ويترك أهبل الوطن ليضحوا أنفسهم. هذا لا يلائم مع الطبيعة الإنسانية والأخوة الإسلامية، بل بناي تلك الصلة الدينية فاعتزم العودة إلى فنوج في شهر شوان ١٢٧٣ للهجرة. وقضى بعض الأيام هنا مهدوء وأمن نسبيا ولكنه لم يدم هذا الوضع لمدة طويلة وما كان ذلك ممكنا بالرغم من أن

شخصاً واحداً من سكان بلدة فنوج لم يتسرد ضد "شركة إيست إنديا البريطانية" ولكنهم عانوا بعض المشاكل بسبب اندلاع الحرب بين الإنكليز الحاكم وأهل بلاد الهند و وقعت حادثة اشتباك مع وحدة عسكرية هندية والقوات البريطانية في مدينة فرخ آباد المجاورة ببلدة فنوج فحرب العسكريون الحرت والنسل ودمروا الزراعات والبنبان وهبوا أغراض البيوت لأهل البلدة وذلك بأيدي القوات السيخ والبنجابيين وباليوم التالي شاعت شائعة لفرض أحكام الطوارئ على البلدة وهذه الإشاعات انتشرت من فرخ آباد وفنوج في القرى المجاورة فكان في كل اتجاه الفرار والسنب والتهب والفوضى كل الفوضى.

اللجوء إلى بلدة بلكرام :

ولما رأى أجداء والد النواب واتباعه هذا الفوضى العام ذهبوا بأخوات الأميرة وأمه إلى بلدة بلكرام وهي بلدة معروفة لأبنائها الأفاضل الذين نالوا شهرة في العلم والفصل والأدب العربي وتقع بالقرب من مدينة لكتناؤ، عاصمة ولاية أوتار براديش، إحدى الولايات الهندية الشرقية .

فأقامت أسرته في هذه البلدة. وهذه الحقبة تحتر من أسوأ وأظلم حقبة للتاريخ الهندي. فان النواب وكذلك أسرته قضت شهوراً في قميص وإزار حش وخبز واحد في اللبلة. فكان إذا تمزق قميصه يخطه بيده وإذا يتوسخ لباسه يذهب إلى النهر ويغسله بيده وبالرغم من هذه الحالة الصعبة والفقر المدقع لم يلتمس من أحد مساعدة ولم يفترض من أحد وصير على سوء وضعه وصعوبة حياته صير عباد الله الصالحين.

وفي هذه الأيام حدث يوماً أنه ذهب إلى النهر لغسل ثوبه و الإعتسار فيه ونزع لباسه و وضعه على ضفة النهر، دخل في الماء إذ مر فحاة وحدة من الجيش الهندي المسبخ بهذا النهر ونظروا إلى لون جسده الأحمر فظنوا انه أحد أعضاء الجيش الإنجليز وكاد أن يفتح عسكري نارا عليه إذ صاح أحد الملاحين الذي كان قد عمل في بلدة فنوج تحت رعاية والده المكرم فدعا بأعلى صوته لا تقتلوه انه ابن فلان أعرفه جيداً. ولما اطمأن الجيش بأنه من فرد هندي لا يمت بصلة إلى الإنكليز تخلوا عنه ومضوا إلى سبلهم. فشكر النواب الله القدير العليم وعاد إلى بيته.

وفي هذا الوضع القلق المضطرب فرض قصيدة في مدح النبي صلعم. وسماها القصيدة
العنبرية في مدح بحير البرية. والتي كما يلي :

اخترت بين أماكن الغبراء دار الكرامة بقعة الزوراء

هل لي مكان فيه أطلب راحتي من دونها في البر وانداء

ما فضلها فوق المواضع كلها إلا لعرف فاح في الأرجاء

وقد ذكر النواب في هذه الأبيات انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وخلفية
هذا انه في شهر رجب المرجب سنة ١٢٧٣ للهجرة بعد صلاة التهجيد حيث كان يقيم في
القنوج انه رأى في المنام انه قدم من القصر إلى قاعة الجلوس ورأى في حديقته دكات صغيرة
موضوعة وتجرى تحتها مياه صافية نقية وينشرف على إحدى هذه الدكات نبينا صلى الله
عليه وسلم فداه أبي و أمي وأمامه كثير من الرمانات وفي هذه الأثناء قال أحد النواب انظر
إلى محمد مصطفى صلى الله عليه وسلم ينشرف هناك فاقتربت قليلا وسلمت عليه بكل
تقدير واحترام واجاب صلى الله عليه بتحية وفحاة نظرت إلى رأسه المبروك فكانت كل أشعاره
مدورة لا بصغيرة ولا بطويلة تصل إلى أذنين وكان وجهه يتلألج فأردت أن أتقدم إلى الإمام
إذ حالت موجة من الماء دوننا وانزلني قدماي إلا أنني سيطرت على نفسي ومتوجهها إلى
القبلة جلست بالقرب من الدكة أمام النبي صلعم بكل أدب واحترام. ونهض صلى الله عليه
وسلم من الدكة وقال شيئا لم أحفظه. وأعطاني رمانتين من تلك الكومة الموضوعة أمامه
صلعم فتسرعتم للأخذ ولكن ما جرى فيما بعد لم أستطع من الحفظ بعد اليقظة وكسان في
حالة غبطة وسرور بالغ عندما استيقظ من النوم وقد عبر هذه الرؤيا عن زيارة الحرمين
الشريفين ودعا إلى الله عز وجل أن يرزقه سبحانه وتعالى إقامة في بلد رسوله وشهادته في
سبيله" وقد بين هذه البشري المباركة في قالب شعري :

رأيت رسول الله في النوم ليلة وقد كنت مشتاقا إليه متيمما

فسلمت تسليما كرميا معظما وصادفت رجعا شريفا معظما

وناولني رمانتين برأفة وأولى نصيبا من عطاء متمما^{١١}.

^{١١} آثار صفي ص ٢٧-٢٥ راجع

حفظ القرآن الكريم

و خلال بقاءه في بلدة بلكرام عاطلا عن العمل وشاكيا عن نواب الدهر وحزينا عن المستقبل رأى طمأنينة قلبه في القرآن الكريم وقرر استظهاره عن قلب وبدأ في شهر رجب المرجب سنة ١٢٧٤هـ وفي أمام قليلة حفظ عدة أجزاء من ذكر الرحمن.

العودة إلى الوطن :

في هذه الأثناء بدأت تتمد نار الثورة التي اضطرت في عام ١٨٥٧م ولم يبق من تاريخها إلا حدود هنا وهناك وبدأ الناس يعودون إلى مواطنهم من شتى أنحاء البلاد. وعلى كلى حال انه جاء بكافة أسرها من بلدة بلكرام إلى فنوج والحاجيات اليومية بدأت تشغل باله ولم يبق له هم سوى أن يقوم بإعالة أسرته فمرة ثانية اعترم على السفر ومن حسن الحظ أنه لما اعترم على السفر ووصل إلى فتح بور، تلقى خطابا من النواب سكندر بيكم. فاعتبره مساعدة من الغيب إلا أن السماء بدأت تمطر وما كانت الأمطار تنقطع ونظرا لهذا الوضع وسعيها منه للحصول على الوظيفة توجه إلى مدينة موبال بدون انتظار منه لانقطاع المطر. ويوما كان يمر ثمرا يفيض بماء السيل إذ تورط في وسط النهر ولكن الله نجاه من هذه المشكلة حيث أن السفينة توقفت على صخرة من ضفة النهر ولكن المطر لم ينقطع وبقي طول الليلة حتى الصباح على تلك الصخرة وبعد مشاكل حمة وصل إلى المدينة وانتفى بالنائب الأول للإمارة الكاتب الشيخ جمال الدين خان بهادر. وحكاه كل ما حصل له من متاعب ومشاكل خلال السفر فتأسف له وحزن عليه وعرض قصته على النواب بيكم ولكن من سوء حظه رفضت النواب بيكم أن تعطيه أية وظيفة في الدولة وعلاوة على ذلك أصدرت قرارا لمغادرة المدينة وفي الحقيقة طالت الفترة بين إصدار الخطاب السابق للوظيفة وبين حضوره إلى البلاط وفي هذه الأثناء وجد أصحاب الأغراض والحساد فرصة لتحرير الحاكم ضد صديق حسن خان ونجحوا في سعيهم لوقت ما. فاضطر إلى ترك المدينة وتوجه إلى مدينة "جاي بور" وفي طريقه إلى هذه المدينة أقام في مدينة طونك حيث وجد وظيفة براتب قدره خمسين روبية شهريا ولكن الجو الاجتماعي والعلمي لم يطب للنواب صديق خان والتمس من صاحب العمل ان يجيزه لفترة وفي هذه الأثناء أرسلت النواب سكندر

جهان بيكم خطابا للمرة الثانية حيث تأسفت فيه لما حصل من قبل. فتوجه النواب صديق خان للمرة الثانية إلى مدينة هوفال ووصل إليها في شهر المحرم سنة ١٢٠٦ للهجرة الموافقة ١٨٥٩م.

وفي هذه المرة استقبلته المدينة باكرام ويتقدير وهذه كانت أول لينة لاعتلاءه على دكة الحكم، وفوضت إليه كتابة تاريخ الدولة وذلك براتب (٧٥) روبية شهريا. وهكذا بدأ حياة جديدة.

زواجه مع بنت النائب الأول للإمارة

كان جمال الدين خان بهادر نائبا للإمارة وكان رجلا علما قاضيا متدينا وكان له نتان السيدة رحبي بيكم والسيدة ذكية بيكم وكانت مؤجرة الذكر أرملة وكان النائب الأول في بحث عن شخص ذي علم وعمل فوجد في ذات النواب صديق حسن خان هذه الخصائص. وعرض هذه الفكرة عليه فوافق النواب إتباعا لسنة رسوله الكريم وإحياء لسنة المطهرة وهكذا تم إجراء عقد الزواج بحضور كافة أعيان الدولة وأركانها.

نبذة عن حياة السيدة ذكية بيكم.

هي بنت نائب رئيس الإمارة الدولة السيد جمال الدين، كانت متدينة ولطيفة بالناس وحوادا وكرمة. وقد شرفها الله زيارة مكة المكرمة وكانت متواظبة على أداء الصوم والصلوة كانت تقرأ الكتب الأردية بكل سهولة وسرعة حتى ولو كانت صعبة ومعقدة. كما كانت تجيد اللغة الفارسية. وكانت تحب الأديب الكبير الشيخ سعدي الشيرازي. وتلو القرآن الكريم صباحا كل يوم واستمرت في هذا العمل إلى أن وافتها المنية. وكانت تعرف ترجمة الآيات الكريمة والتي تعلمتها من والدها الكريم. وقد ذكر النواب عن زوجته هذه: كما ورد^{١٢} في الحديث النبوي صلعم تنكح المرأة لأربع: لماها ولحسنها ولجمالها ولدينها فاطفر بذات الدين تربت بذاك" وكانت هذه الخصال الأربع تتواجد فيها إلا أنني لم انتفع من ماها حيث كان أغنائي الله عن ذلك. ويكتب في مكان آخر "كانت هذه امرأة ذات

^{١٢} إبقاء المن ص ٤٩

حظ وافر طالما كانت حية لم أتعرض لمشكلة وبعد موتها فوراً ابتليت بآلام وأحزان لا بأس بها. " وقد انتقلت إلى جوار رحمة الله في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٠٦ هـ وكانت قد بلغت من عمرها ستين سنة^{١٢}.

استقدام الوالدة والأخوات إلى مدينة هوبال

وبعد ما تزوج النواب صديق من السيدة زكية بيكم رغب النواب في الإقامة في هوبال بصورة مستمرة واستقدم والدته وأخواته مع أزواجهن ولكن لم يظلب للسماء هذا الاجتماع. فإن والدها قد شنت رحلتها إلى جوار رحمة الله عز وجل بعد ستة أشهر فقط. ولم يرض علي رفاقها إلا وقد ماتت اختها وهذه الأموات أو الأحداث المحزنة أثرت في نفس النواب تأثيراً بالغاً وقد حاولت النواب سكندر بيكم بتخفيف آلامه وأحزانه التي تواترت بالمعاطف معه وتأليف قلبه بالهدايا والعطايا. وقام^{١٣} النواب بإرسال الناس للحج نيابة عن والدتها وإخوانها علي طريقة المذهب الحنفي وبين مسجداً و دار إقامة للمسافرين.

وفاة النواب سكندر بيكم وسفره للحج

وفي هذه الأثناء حيث كان النواب أصيب بجزن وألم شديد بسبب موت بعض أفراد أسرته. أصيب بحادث آخر وهو أن النواب سكندر بيكم لبت دعوة الأهل وذلك في شهر رجب عام ١٢٨٥ للهجرة. وتولت مهام الدولة خلفاً لها السيدة النواب شاه جهان بيكم في شهر شعبان عام ١٢٨٥ للهجرة الموافق ١٨٦٨ م.

وكان النواب راغباً نواظاً إلى زيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقدم طبيباً بهذا الصدد إلى الراحنة إلا أن المنية وافتها ولم يتمكن النواب من تحقيق رؤياه والأآن لما تولت النواب شاه جهان بيكم زمام الحكم نال ذلك الطلب قبولاً منها واعترفت النواب علي السفر في شهر شعبان سنة ١٢٨٥ للهجرة^{١٤} ووصل من هوبال إلى بومباي. ومن هنا جاءت به السفينة إلى عدن وخلال هذا السفر لم يزل يكتب وينسخ وذلك بالرغم من إصابته ببعض الأمراض بسبب سوء الطقس واستخدام الماء البحري للتوضوء والاعتسالم والشرب.

^{١٢} إبقاء المن من ١٥.

^{١٣} ما: صديقي من ٢٠/٢٠٠.

^{١٤} رحلة الصديق إلى نيت العنز من ٨٧٠.

وأرست السفينة بإذن الله في مرفأ حديده في شهر رمضان المبارك سنة ١٢٨٥ للهجرة. والتقى النواب بالفاضي الشيخ حسين بن محسن الانتصاري وأقام لديه نحو عشرين يوماً. وقضى جل أوقاته في البحث عن كتب الحديث ونقلها حيث نقل نحو (٢٥) رسالة للسيد محمد اسماعيل وقدم النواب إلى حضرات علماء الحديده بعض كتيه مثل الخطة بذكر الصحاح الستة وكذلك التقى بالشيخ سعد الدين بن المؤيد هبة الله اليميني والشيخ علي بن عبد الله شارح البخاري. وكذلك اشترى بعض الكتب مثل إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم.

وفي شهر شوال ١٢٨٥ هـ استأنفت السفينة سيرها من حديده وبسبب سوء الجو ونزول الأمطار وهبوب الرياح السريعة استغرق السفر شهراً كاملاً بينما كان يستغرق في عامة الأحوال سبعة أيام فحسب. وقد أصيب حمىج بيت الله الحرام بنقص من الأموال ونفاد الزاد والماء والغذاء حتى انه كان يعطى في ليلة ونهار بكفين من الرز وسلطة من الماء. وبفضل الله هبت ربح مؤاتية، ربط الناس الاحرام من جبل يللمم فلما توجهت السفينة إلى الأمام واجهت نفس المشكلة من سوء الريح والإضطدام بصخرة وأرست السفينة في شهر ذي قعدة ١٢٨٥ للهجرة على ضفة جده.

ثم أقام هنا لعدة أيام يستريح شيئاً وفي شهر ذي القعدة راح من جدة ليتشرف بزيارة كعبة المشرفة. وبعد الوصول إلى بيت الله الكرم شكر الله عز وجل لما وفقه من رؤية بيته العتيق وأدى مناسك الحج على أسوة النبي صلي الله عليه وسلم شيئاً فشيئاً وبقي في هذا البلد الأمين كاتباً وناقلاً فانه نقل الكتاب "السياسة الشرعية" بخط يده وقضى معظم أوقاته في نقل أو اشراء الكتب النادرة.

ولما وجد قافلة تذهب إلى المدينة المنورة رافقها وبسبب انتشار الفوضى واللافتونية وصلت القافلة إلى المدينة في عشرين يوماً بينما قطع هذه المسافة لا يحتاج إلا (١٢) يوماً. وأقام في المدينة المنورة لعدة أسابيع حيث زار الروضة المباركة المطهرة. وكان يؤدي الصلوات الخمسة في المسجد النبوي كما زار خلال بقاءه في المدينة مسجد قبا والذي قال عنه عز وجل ((المسجد أسس على التقوى)). كما زار قبور الصحابة رضوان الله والأملاك

المقدسة الأخرى القائمة في المدينة وبحوارها. وسُعد الثواب بأداء حج وعمرتين. وهكذا بقي في مكة المعظمة أربعة أشهر إجمالاً. وخلال هذه الفترة اشترى كثيراً من الكتب ونقل العديد من الرسائل المطولة والمختصرة.

وفي شهر جمادى الأول ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م عادت سفينة الحجاز من مكة المكرمة، والسفينة التي كان يركبها الثواب تسمى بفيض الباري، وبعد أن قطعت السفينة مراحل عديدة وقربت من مرفأ بومباي هبت ربح عاصفة وذهبت بالسفينة إلى مكان بعيد ثم عادت الريح إلى طبيعتها وأصبحت ملائمة وهكذا وصلت السفينة في شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هـ وبذلك قضى الثواب ثمانية أشهر في السفر إلى الحجاز المقدس^{١١}.

ترقية الثواب من منصب الكاتب إلى ناظر المدارس

عاد الثواب من السفر الميمون وحضر إلى حاكمة الإمارة وحكى له ما شاهد في هذه الرحلة السعيدة وأدى جميع المسؤوليات التي اسندتها إليه فتفديراً لأمانة الثواب ومكانته المرموقة ورغبته لها في مجال العلم والثقافة اسندت إليه الحاكمة نظارة المدارس. وبعد مضي سنة عنى هذا المنصب قامت الحاكمة بترقية الثواب لمرة أخرى وجعلته وزيراً ومستشاراً لها.

الزواج مع حاكمة الإمارة النواب شاه جهان بيكم

لما تولت السيدة نواب شاه جهان بيكم رمام الإمارة كانت قد توسعت من نواح عديدة و قامت باصلاحات شاملة في صالح الشعب ورفاهيته واشتدت الحاجة لتشعب أمور الدولة إلى شخص يستشير منه ويستعين به في شؤون الدولة فوفقت نظرهما على النواب صديق حسن خان لكونه عالماً ماهراً ومخلصاً في تأدية الواجبات ومنفهما لأمر الدين والدنيا ويتحلى بالخصائص والمواهب المطلوبة، فاستأذنت لذلك من الحاكم البريطاني والذي وافق بل أعرب عن رائيته بالتشديد على الحاجة إلى زوج يساعدها.

^{١١} ماز صدقي ج ٢ ص ٨٠

علماً أن زوجها الأول الثواب نظير الدولة نجشي باقي محمد خان بهادر الذي كان قد تم عقدها معه في سنة ١٢٧١هـ وكان الثواب من أسرة ذات أصول أفغانية وبقي على قيد الحياة بعد الزواج لمدة ١٢ / سنة ووافته المنية في شهر صفر / ١٢٨٤هـ .

وبعد الحصول على الموافقة من قبل الحاكم البريطاني تم إجراء مراسم العقد في شهر الشوال المكرم سنة ١٢٨٧ للهجرة الموافق ١٨٧٠ الميلادي.

وكان الثواب صديق خان يشغل منصباً مرموقاً في الدولة إلا أن الثواب شاه جيهان بيكم شعرت بأنه رجل يستحق بمرتبة عليا فرفعت مكانته وعينه النائب الثاني للإمارة كما أعطا منحه الوسامات والخلعات الفخورة التي كانت تلائم مع منصبه وحاولت أن يكون لزوجها الثاني كل الألقاب والتفديرات التي كانت منحت لزوجها الأول فكتبت بتاريخ ٤ / فبراير عام ١٨٧٢م رسالة إلى الميجور وليم ولي آسرن بهادر، الوكيل السياسي الإنكليزي لولاية بهوبال. وذكرت أنه لما كان زوجها الأول كان قد منح من قبل الحكومة الهندية المناصب والتفديرات التالية: (١) لقب نظير الدولة (٢) خلعة من قبل الحاكم البريطاني نيابة عن الحكومة البريطانية (٣) إطلاق ٢١ مدفعية نحية في حين قدومه إلى مدينة بهوبال ومغادرته وفي حين اللقاء مع المسؤولين البريطانيين. (٤) وفي حين منح الخلعة الثواب تقدم الهدايا من قبل ضباط الجيش تقديراً له. (٥) حضور الوكيل المساعد الإنكليز شخصياً لاستقباله (٦) حضور المسؤولين في منطقة سيهور واندر لاستقباله (٧) حضور الوكيل للحاكم العام والوكيل السياسي للالتقاء بالثواب. كما كان هناك من قبل الدولة منحت له وسامات تقدير وعلى سبيل المثال تقدم الهدايا من قبل كافة أعضاء وأركان الدولة ومن ترنط بالبلاط الملكي الهدايا (٨) منحه إقطاعيات ، فإنه ينبغي أن تمنح كافة هذه الألقاب والتفديرات والتسهيلات للسيد صديق حسن خان وفقاً للأنظمة المعمول بها ولقب "نواب والا حياه أمير الملك" من قبل الحكومة.

فوافقت الحكومة البريطانية على ذلك ومنحته كل ألقاب الدولة والتقدير الرسمية التي كانت تمنح لشخص يشغل ذلك المنصب وقام بإشعار ذلك الوكيل السياسي البريطاني بتاريخ ١٧/سبتمبر عام ١٨٧٢ الميلادي^{٢٧}.

منح الإقطاعية

وتمنح الثواب صديق حسن خان إقطاعية تقدر بحاصلها ب (٧٥) ألف روبية سنوياً وكذلك منح له اللقب "النواب والا حاه أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر"^{٢٨}.

صلاحيات الثواب في شؤون الدولة.

كان الثواب صديق حسن خان يتمتع بصلاحيات واسعة في شؤون الدولة ولم يكن الثواب مثل الثواب الآخرين الذين كانوا يلقبون بالنواب مجرد انتماءهم إلى الأسرة الحاكمة حيث لا تكون لهم أية صلاحيات في شؤون الدولة وكانوا نواباً للاسم فقط وبالعكس ذلك كان الثواب صديق حسن خان يتمتع بنفوذ بالغ في شؤون الدولة وكانت له كلمة مسموعة بل كلمة نافذة العمل ويكتب عنه صاحب مآثر صديقي أنه كان صهراً للنواب جهانكير محمد خان بهادر والنواب سكندر بيكم وكونه مستشاراً خاصاً للنواب شاه جهان كان يتمتع بصلاحيات أكثر مفارئة مع الثواب السابقين لأنه قبل ذلك بمنح لقب الثواب الشخص الذي يكون من أسرة الإمارة والذي يمثل لقباً فخرها فحسب. ولا يكون لهم أية صلاحيات أو نفوذ في إدارة شؤون الدولة أو التدخل فيها.

ويبدو ذلك جلياً من الرسالة "الصادرة من قبل الحكومة في هذا الصدد

"حكيمى كه در باب نبودن رئيس هموفال شوهر نواب شاه جهان بيكم صاحبه مرقوم است حسب درخواست مخلصه است كه بتوجه صاحبان عالی شان بهادر نافذ كرديد" تم إرسال هذا التعميم إلى كافة إمارات الدولة البريطانية في الهند.^{٢٩}

وفي هذا السياق بالذات يكتب صاحب مآثر صديقي :

^{٢٧} مآثر صديقي ص ٩٠ ج ٢.

^{٢٨} مآثر صديقي ج ٢ ص ٩٤-٩٥.

^{٢٩} مآثر صديقي ص ٩٥/٢.

"أن العقيد خان وليم وليي آسرون، الوكيل الخاص بإمارة هوفال أرسل خطابا بتاريخ ٣٠/يونيو عام ١٨٧١م إلى مدينة الإمارة في رد رسالتها إليه والتي كما يلي :

"بالإشارة إلى رسالتكم أن النواب صديق خان سوف يعمل نيابة عنك" فقد سررت جدا بهذا الاقتراح المرغوب فيه ورأيك أحسن وأنسب."

ولو أن النواب كان محطة عناية وعناية ولطف وتقدير واحترام يفصل سعيه المشكور وجده النشاط في إدارة شؤون الإمارة منذ أن تولى مهام الديوان المنكي ومنصب النائب الأول للإمارة، إلا أن النواب الحاكمة بعد ما تم الزواج مه فوضت إليه صلاحيات واسعة حيث أنها جعلته مستشارا خاصا^٢.

ازداد النواب صديق نفوذا في قلب الحاكمة للإمارة يوما فيوما. واصبح مرافقا لطلفي الحل والترحال ومرات عديدة رافق الحاكمة في جولاتها إلى مختلف أجزاء البلاد.

رحلة النواب شاه جهان بيكم إلى بومباي

ملكة بريطانيا العظمى قررت منح الحاكمة هوفال وسام تقدير باسم Knight Grand Commander Star of India وتذكارية وعلما بالمرتبة الأولى. وبهذا الصدد تلقت النواب شاه جهان بيكم خطابا للحضور إلى الحفل الذي يعقد في مدينة بومباي بتاريخ ٤/رمضان المبارك سنة ١٢٨٩هـ الموافق ١٤/نوفمبر عام ١٨٧٢م.

هوصلت النواب إلى مدينة بومباي مع أعوان وأنصار وخدام الإمارة ولقيت ترحيبا حارا من الحكومة البريطانية وفي حفل رائع كرمج منحت له وسام Knight Grand Star of India وفي هذه الرحلة كان يرافقه النواب صديق حسن خان ولقي بترحيب وتقدير في كل مكان نزل. فإنه التقى بكبار المسؤولين للحكومة البريطانية ونائب صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا وأمراء الإمارات المختلفة وعمداء بلاد الهند.

إطلاق (١٧) مدفعية تحية

وفي نفس الحفلة المنعقدة في ١٤/نوفمبر عام ١٨٧٢م كان أعلن الوكيل البريطاني قائلا: أنه قرر خصيصا لزواجكم أن تطلق (١٧) مدفعية تحية في كافة المناطق الهندية التاسعة

^٢ مآثر صديقي ج ٦ ص ٩٦

للحكيم البريطاني وذلك للأيد. ثم رحب بالثواب صديق خان علي ما تلقى من خطاب وتقدير و صافحه وهما^{١١}.

وسام من الخليفة عبد المجيد

في عام ١٢٩٥ للهجرة بفضل الله العلي القدير وبلطف من الحكومة البريطانية بُشّر الثواب والاحاء بأن الخلافة العثمانية اقترحت منحه وسام تقدير وعرفان. وانتشر النبأ في كافة أنحاء البلاد من ناحية إلى أخرى بأن صاحب الجلالة السلطان عبد الحميد خان الغازي تقديراً للحمية الإسلامية لإمارة بهوبال والمساعدات التي أرسلت للأرامن والجرحي الذين أصيبوا في الحرب التركية الروسية. وإعجاباً مما ألقه الثواب والاحاء تفسير فتح البيان قد أرسل إلى الثواب وسام تقدير وتذكارية بالمرتبة الثانية ولنائب الأول للإمارة الكاتب جمال الدين خان بهادر، تذكارية بالمرتبة الثالثة مع فرامينه العالية.

ووصلت هذه التذكاريات والفرامين الموقرة من الخلافة إلى إمارة بهوبال في (١٤)

جمادى الثاني ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٩ م^{١٢}.

^{١١} مآثر صديقي ج ٤ ص ١٢٠

^{١٢} مآثر صديقي ج ١٣ ص ١٣٠

سلب الألقاب والوسامات الممنوحة للنواب صديق حسن خان

كل إنسان يواجه مشاكل متنوعة في حياته وإذا يبلغ أوج الكمال يجد المشاكل من نوع آخر هي ظهور الحماس والمعاندين. وهذا ما حدث للنواب صديق خان لو نريد ذكر أسباب الخلاف فيمكن تلخيصها أن حب الجاه والمال والتحاسد هو السبب الرئيسي للخلاف مع النواب فان شرحنا ذلك بقدر من التفصيل فيمكن لنا القول أن أسباب الخلاف والمعارضة تكمن في العصية العرفية والأسرية، وعدم التوسع أو التذني في الأفكار المذهبية، وتعارض المصالح الشخصية.

يعود تاريخ أسباب الخلاف مع النواب صديق حسن خان إلى عقد الزواج مع نواب الإمارة حيث جعلته مساعدا ومستشارا في الإدارة وسير الحكومة الأمر الذي أضرم نار الخقد في قلوب بعض أفراد الأسرة الحاكمة وكذلك أصحاب المصالح الذاتية.

بدأت نار الخقد واليغضاء أولا أن الناس بدعوا يكتبون الشكاوى إلى النواب وبصورة مستمرة ولما لم تنتج هذه الرسائل والشكاوى عن الأثر المطلوب فانه بدأت ترد إلى النواب من المناطق المجاورة للإمارة مثل سيهور وهو شتلك آناد رسائل تهديد وتخويف وسب وقتل ولكن بدون أن تذكر على هذه الرسائل أسماء الأشخاص المرسلين^{١٢}.

فلما باءت هذه الخيلة بالفشل نشرت الأكاذيب الباطلة والافتراءات ضد النواب ومزج بعض الناس السم في أكل النواب والنواب ييكم عندما كانا على زيارة تفقدية في إحدى محافظات الإمارة المسماة بلدة ديوري الواقعة في شرق هوبال. وبدأ الاستفراغ والإسهال للزوجين. إلا أن الرب الكريم نجحنا بفضله العميم^{١٣}.

وعلى كل حال إذا لم تنجح هذه الخيلة المهلكة وحال دونها مشيئة الله مكروا مكرا آخر— وهو أن النواب كانت قد أعطيت دواء التعقيم بواسطة بعض النسوة بمجرد عشية موهومة. وهذه الخيلة أثرت على ذات النواب ييكم إلى حد ما. ولكنهم لم ينجحوا في تحقيق أهدافهم المبعوضة فبدعوا يعتررون عليهم أكاذيب وإفادات و ينقلونها إلى الحكام

^{١٢} مذكر صديق ح ٣/١٢٥

^{١٣} روض الخبيب ص ١٧٦

البريطانيين. وفي هذه الأثناء لما تولى مهامه سرهينري دهلي بصفة Resident Central India وقلم بجولة إلى مدينة اندور، ولأول مرة زار مدينة جو بال، لم تستطع النواب بيكم لأعذار خاصة بها من استقباله وأرسلت النواب ولىة عهدها، الأمر الذي شق على الزائر الانكليزي وتسبب لسخطه. وانتهر أصحاب الخقد والبغضاء هذه الفرصة وحاولوا استغلالها، وقدموا إليه ورقات اتهامات واقتراءات ضد النواب. وكان الحاكم البريطاني ساخطا منه من ذي قبل، فانه لم يتر فيهما لحظة ولم ير ضرورة التأكد منها وبدأ إرسالها كما هي إلى الحكومة الهندية. إلا أن الحكومة بسبب سياستها الحكيمة لم تلتفت إلى ذلك قط ولم تتخذ أية إجراءات ضده. ولكن لما قدم سريال كريفان من كابل كمسؤول عن إمارة 'اندور' ونظر إلى ما تركه سلفه بشأن النواب وكذلك الجماعة الختالة رأته أن مجرد الشكاوى والاقامات الذاتية لا تعني عن شيء ومن الصعب تحقيق الهدف الأصلي. فإنها بواسطة الأشرار والمعلنين وجهت إليه اتهامات دينية ومذهبية مثبتة انه مصدر التمرد والجسهاد والتشور والفساد واستشهدوا على دعاويهم ببعض مؤلفات النواب التي نقل فيها النواب مقالات وأفوال بعض السلف عن الجهاد الإسلامى وكتب أيضا فيها عن آراءه الذاتية عن الحكومة البريطانية، إلا أن الخصم تجاهل عن ذلك وهنا لا يمكن ذكرها بالكامل إلا أننا ندرس بعضها منها وهي كما يلي:

- (١) الترغيب في الجهاد ومخالفة الحكومة.
 - (٢) ترويح ونشر المذهب الوهابي.
 - (٣) جعل النواب محجة وأخذ كافة السلطات بيده باسم المساعدة.
 - (٤) مصادرة الإقطاعات.
 - (٥) التشديد في تنفيذ القوانين.
 - (٦) عرض النواب قدسية بيكم كمعارض النواب شاه جهان بيكم.
 - (٧) إساءة علاقة بين النواب الحاكمة و ولىة العهد.
- وفي الأسطر التالية محاول استعراض الاقمامات المذكورة وبإختصار :

١- الترغيب في الجهاد

أول فئمة وجهت إلى النواب هو انه يشجع الناس على الجهاد والقتال وبكلمة أخرى المحاربة مع الحكومة البريطانية والتمرد عنيها.

وفي الحقيقة أن النواب تناول موضوع الجهاد رغبة منه في الشمول وتوفير المعلومات الواسعة حول الموضوع ونقل في هذا الصدد آراء العلامة سيد حسن بن جلال البهني من رسالته (بانيان) والسيد عبد الله بن عبد الباري البهني من رسالته ((سيف بنار)) وكذلك جمع أقوال وكتابات العلماء القدامى الآخرين وفي بعض الأماكن أشار المراجع أيضا، وحينما إلى حسب أعرب عن رأيه في قضية الجهاد والثورة الصلبة ضد الحكومة البريطانية في كتاباته كقول فصل من كتابه. وأكد فيها على الإيفاء بالعهود والمواثيق القائمة بين الحكومة البريطانية وسكان هذه البلاد وذلك بموجب أوامر الشريعة الإسلامية. إلا أن المعارضين والمانعدين بكامل الجرائد، والحكمة تجاهنوا عن كتابات النواب وقدموا المقالات المنقولة كوثائق لإثبات جرمته، ضد الحكومة البريطانية، واعتبروا نقل المواد المتعلقة بالجهاد خروجاً وعمداً على الحكومة البريطانية. وقدموا كتاب هداية السائل، اقتراب الساعة، والموعظة الحسنة التي طبعت فيها خطأ خطبة الشيخ إسماعيل الشهيد كدليل لإثبات جرمته التي حثت فيها الناس على الجهاد مع المسيح كدليل لإثبات دعواهم.

ومن الغريب جدا أن صفحات القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه حافلة بفصول من الجهاد وتوجد تراجم هذه الكتب في كافة لغات العالم بقرأها كل شخص. ويعلمه قليلا أو كثيرا، ويؤمن به ومن الغريب أن معارضي النواب يؤمنون بوجود الجهاد ولا يمكن لهم أن يتفوا بكونه واجبا دينيا. إذ يعتقد كل مسلم بأن نفي جملة أو كلمة أو حرف من القرآن يدخله في زمرة الكفار. فكيف يجوز تشويه سمعة شخص ورفع الإصبع إليه كرحل فعل مكررا.

وعلى كل حال هل يمكن لرجل عالم ومخلص و وني للحكومة و النواب ويعرف الأحكام القرآنية وشروط الجهاد معرفة نامة ويعرف تماما بالمنة والمكرم والنطف تلقاها من الحكومة البريطانية في الوصول إلى المرتبة العالية في الإمارة. والذي يعترف بصميم قلبه

بالتفديرات والألقاب التي منحتها الحكومة البريطانية والذي مدحه وأثنى عليه الحكام البريطانيون في مختلف رسالاتهم وخطاباتهم الذاتية وبصورة مستمرة. والذي يعلم أسباب انحطاط وزوال شعبه، والذي يجد نفسه محاصرا بين أعداء وحساد وأشخاص فسد بيعون ضمائرهم بأتفه ثمن. فهل يمكن أن نؤمن للحظة واحدة؛ بأنه يجترئ على مخالفة الحكومة البريطانية؟ هل حادثة كهذه التي لم تكشف عنها على الفور بالصحف وتكون محتفية على النواب التي هو زوجها وقربنها وجليستها في الحل والترحال؟ وهل بعد الكشف عن مثل هذا الحادث يمكن للنواب الموقرة المختصة الوفاء للصدقة للحكومة البريطانية أن تؤثر حماية النواب والدفاع عنه على حساب صداقة الحكومة البريطانية والوفاء بها؟ أرى أن أي شخص عاقل ومنفهم ووفي لا يجترئ على سوء الظن كهذا أو الاستخفاف بالنواب، أليس من العيب ومثير للضحك إثارة الشكوك وتوجيه الاتهامات كهذه إلى النواب؟ والصحيح أن العيون المعارضة والأنظار المتوهمة تنظر إلى الخيل كأنه أفعى.

ويكتب عن عدم جواز الجهاد مع الحكومة البريطانية "في كتابه ما مفاده انه لا يجوز حتما الجهاد مع الحكومة البريطانية" كما كتب انه لا يجوز نقض المواثيق التي أبرمت مع الحكام الإنكليز إذ أنه يعتبر نقضا للعهد وهذا ما لا يسمح له الشريعة الإسلامية. ويجب الإخلاص والوفاء بالحكام الإنكليز."

٢- نشر الوهابية

يرجع نسبة اسم الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي الذي شن حركة ضد المخرافات والمراسم الجاهلية والبدع والشرك وزيارة القبور في المملكة العربية السعودية ومن حسن حفظه انه وجد مساعدا ومناصرا لدعوته في الشيخ سعود بن آل عزيز الذي دعا بدعوته وجاهد من عارضه و دمر كافة معالم الشرك والكفر من الديار العربية.

توجد فروق كبيرة بين الجماعة الوهابية وجماعة أهل الحديث مذهبيا وعقائديا. ومن العيب أن استخدام كلمة الوهابية تستخدم من قبل عامة المسلمين و الجاهلين في معاني متضادة فهي تستخدم لمعنى في منطقة وأهلها ولمعنى آخر مغايرا تماما لسابقه في

* مواد فتاوى من ٢١.

منطقة أخرى وأهنيها. فأولا استخدمت كلمة "الوهابي" مقابل أهل البدع، وأهل البدع هم الذين ابتدعوا في الإسلام طريقا أو مذهباً أو شيئا لا سند له في كتاب الله وسنة نبيه صلعم. ويكون مخالفا لعمل السلف. كما ورد في روايات الجامع للبخاري والمسلم ومنها رواية عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (الحديث) ولكن بعد مرور بعض الوقت وجد معنى جديدا في كل مكان ومنطقة، ففي الممالك المتحدة يلقب الوهابي الشخص الذي يمنع الناس من عبادة قبور الأولياء والصلحاء ومنعهم من المناداة بكلمة "يا علي، يا رسول" ويرى عقد المجالس بمناسبة ميلاد النبي صلعم، خلافا لطريقة السلف الصالحين والقرون المشهود لها بالحبر.

وفي المدكن (جنوب الهند) الوهابي يطلق على الشخص الذي لا يشرب سبندهي (السيد المحلي) ولا يسبل الإزار ولا يقطع اللحية وفي مدينة بومباي تطلق كلمة الوهابي على الشخص الذي لا يرفع شعارا مناديا "يا أيها الشيخ عبد القادر الجيلاني" وفي الدول الأخرى الوهابي هو الشخص الذي لا يقلد مذهباً معيناً من المذاهب الأربعة الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية.

وفي الحقيقة كلمة "الوهابي" سب وشتم في حق جماعة أهل الحديث التي لا ترى جوازاً للتقليد المحض والاتباع الأعمى إلا اتباع الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالحين. ولو كان من الأئمة الأربعة المجتهدين مثلاً الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي أو من طبقة الأئمة المحدثين مثل الأئمة المسلم وغيره فكيف يمكن لمثل هذه الجماعة أن تقلد الشيخ عبد الوهاب أو غيره. ونقل بعض المحدثين في بلاد النجد رواية في الصحيحين عن عمر رض : ويقول انه لما دعا النبي صلعم لبركة بلاد اليمن والشام فسأل الناس أن يدعو لبركة بلاد النجد فيقول ابن عمر رض أظن انه لما سأل الناس ثلاث مرات قال النبي صلعم انه سوف تظهر منها الشجر والفتن ويخرج منها قرن الشيطان^{٢٦}.

ولو نفترض بأن النواب أو أي مسلم هندي آخر وهابي المذهب، فما علاقة هذا المذهب بمخالفة الحكومة ومعارضتها. وكانت هذه هي الأسباب التي دعت جماعة أهل

^{٢٦} مائة صديقي ج ١٣ ص ١٦٢.

الحديث بذلك الوقت إلى عدم استخدام كلمة الوهابي "مع أسماء هم وأعربوا عن معارضتهم لذلك لدى الحكومة الهندية حيث أن الشيخ أبو سعيد محمد حسين البنالوي أرسل رسالة مع توقعات أعضاء الجماعة عن طريق والي بنجاب إلى الحاكم البريطاني الذي أرسلها مع تاييده لذلك إلى الحكومة الهندية التي وافقت على الطلب المذكور. ووفقا لذلك منعت استخدام كلمة الوهابية" مع جماعة أهل الحديث وكذلك تم إطلاق سراح من قبض عليه باسم الوهابية.^{٢٧}

ومن الغريب أنه من جانب كان يمنع استخدام كلمة الوهابية وبطلق سراح من ألقى القبض عليه باسم الوهابية ومن جانب آخر كان بعض أعداء الدين والمفسرين يسعون إلى تشويه سمعة النواب باسم الوهابي ويتهمونه بأنه يخرض الناس على الجهاد. وفي نهاية الأمر وجدت هذه الأقسام والإجراءات مكانا في قلب سر ليال كريفان الوكيل السابق للحاكم البريطاني الذي قبل هذه التهم ورفعها إلى الحكومة البريطانية في الهند التي لم تنظر في القضية المقدمة إليها ضد النواب تبعت سياسة حكيمة وألغت المطالبات الغير المناسبة ولكن مراعاة للحاكم/سر ليال كريفان/انتزعت الألقاب والوسامات منه. فانه التقى بالنواب المخترمة في قصر شوكت محل، بتاريخ ٢٧/أغسطس عام ١٨٨٥م وقدمت الشكاوى إليها بشأن النواب ووجه إليه اتهامات بتاريخ ١٤/ذي القعدة سنة ١٣٠٤هـ أعلن عن سلب اللقب" والغاء اطلاق (١٧) مدفعية تحية وفي ١٧/محرم الحرام سنة ١٣٠١ للهجرة الموافق ٢٦/أكتوبر عام ١٨٨٥م منع من مساعدة النواب بيكم والتدخل في شؤون الدولة. وكان النواب قد عزل نفسه واعتكف في مكان من ذي قبل. وعلاوة على ذلك لم يطب للناس أن يفيم مع النواب فاقام في قصر 'نور محل' بمفرده لمدة ثمانية أشهر وكان سمح له أن يلتقى بها في الليلة في قصر الشاج محل. وتأثرت النواب بيكم لهذا الوضع المؤلم كثيرا واعتزمت على السفر إلى مدينة كالكته سنة ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٨٦م، وانتفت باللورد دفرن. ولما اجتمعت مع اللورد وقدمت اليه تقريرا عن وضع الإمارة وحكت عن الآلام والأحزان التي لقيت بسبب شكاوى الأعداء الخساد والسلطات العليا وانحطرت الحاكم بالحقيقة وراء التدخل في

^{٢٧} (١) مآثر صدقي ج ٣ ص ١٦٣.

العلاقات بين الزوج والزوجة فعامل الخناكم بلطف وكرم وسمح للنواب صديق خان بأن يقيم في قصر التاج محل وواعد بالنظر في أمور الإمارة. وعادت بعد إقامة في مدينة كالكنته لمدة شهر^{٢٨}.

وفي هذه الفترة العصبية لم يكن هناك أحد يؤنس النواب ويؤارره إلا ذات النواب الزوجة الكريمة التي وقفت وراءه كزوجة مخلصه ووفية مدافعة عنه وعن الحق والإنصاف ويكتب النواب ما يدل على أنه كان يمر بأصعب فترة في حياته بألم نفسي بالغ لا يمكن أن نتصوره يقول في شعبان ١٣٠٣هـ كانت مشكلتي وحزني على أشده. ولم يكن هناك أي سبيل للنجاح والأمن. وفي هذه الأثناء لما استيقظت من النوم ليلة لصلاة الصبح كان يجري على لساني "لا تحف انك من الأمنين." وفي الليلة الثاني حدث نفس الأمر حيث إذا استيقظت كان على لساني ((و أرادوا به كيذا فجعلناهم الأخرس)) فاستيقنت انه لم تحر هذه الكلمات الطيبة على لساني بدون إرادة ونية مني إلا أنها بشرى من الرحمن الرحيم للأمن والأمان". وخلال هذه الفترة كتب الشيخ عبيد الله المحترم صاحب كتاب تحفة الهند، و أوصاه بالصبر والسلوان والاستقامة على الدين. وقال إن سلب الألقاب والوسامات من الأمور الدنيوية ولعل الله أراد بك خيرا.

وصبر النواب على ما أصاب من الأعداء والحساد صبر المتقين الأبرار. فكتب :
يعتقد الخمقاء بأنني أصبحت مهينا في نظري بسبب هذه الأحداث (أي سلب الألقاب والمناصب) . وإن سلب الألقاب وحممة عار وذل لدى أهل الدنيا فإجابتي على ذلك أنه يكفيني هذه الجملة لعالم عاقل: "ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة"^{٢٩}

٣- إكراه النواب شاه جهان بيكم على ارتداء الحجاب.

الإتهام الآخر هو أن النواب جعلت النواب محمية وأخذ كافة الصلاحيات بيده فحقيقة الأمر هي أن النواب كانت تتم بالحجاب الشرعي منذ النكاح الأول. وقضت فترة قصيرة وعلى مضض منها، بدون حجاب ولكنها كانت مؤيدة للحجاب بصميم قلبها .

^{٢٨} مآثر صديقي ص ١٦٢ ١٦٩ هـ

^{٢٩} مآثر صديقي

وبعد العقد الثاني مع النواب صديق حسن خان ألفا تمسكت بنفس المبدأ في حياتها. وكان أعلى الضباط والمسؤولين يترددون إليها بصورة مستمرة عندما دعيتهم الحاجة أو نطلبهم هي. وفي البلاط العام كانت تقبل نحية كل شخص بدون أي تمييز.

وكان أعضاء الدولة يحضرون إليها بدون أي حاجز. فان النواب الموقرة استقبلت أربع ولاية بريطانيين في الهند وهي محجة وتشرفت للقاء أميرين بريطانيين في مدينة كالكنا ودلهي وهي مرندية حجابا.

وأما الوظائف والأعمال التي كلفتها إياه النواب لتدبير شؤون الدولة سهيلا لمسؤولياتها ونظرا لراحتها. فإنها تتمثل في كلمة النواب : استكتاب الأوامر من الكتاب في دار الإنشاء الذين يحضرون كل يوم في القصر وعرض الأوامر المقضي عليها التي تصدرها بعد الاستماع إلى الأوراق وأن يطلب كتابته من كاتب عام للدولة ويقدم إليها في البلاط لتوقيعات، وكانت النواب تفضل بنفسها بجوار مجلس النواب، وهذا هو الأمر الذي كان ساري المفعول. وما سوى هذه الخدمة لم يكن له أية سلطة في تدبير شؤون الإمارة ولم يكن له أي حكم ونقوذ وخاصة في ما يتعلق بأعيان الدولة والإقطاعيين فلن يكن سلطة أبدا وهذه الأمور كانت تتعلق بالنواب مباشرة".

٤- مصادرة الإقطاعيات

والإنهام الآخر هو مصادرة بعض الإقطاعيات وحقيقتها أن النواب ميان ياسين محمد خان كان من أنحوان الإمارة القديمة. وكان ينتمي إلى النواب محمد غوث محمد خان بهادر ولما انتقلت الإمارة من تلك النواب إلى أسرة النواب وزير محمد خان وكانت النواب شمساه جهان بيكم اعلم بكثير من أحواله وكوائفه مما كان يعلم النواب. وجدت رسالة خطية بالخلف موقعة من قبل ميان حسين محمد خان وعلمت النواب أنها في ١٢٩٤هـ أخرجت من مكانها. وفي هذه الأثناء وبدون إشعار النواب سافر إلى بومبائي وإن دور وهذا السبب سخطت منه النواب شاه جهان بيكم وصادرت إقطاعيته وخطرت الحكومة البريطانية في الهند التي وافقت على فرارها. ولتكفاله ثم تحديد (٦٥٠) روية منحة شهريا في عام ١٢٩٩

للهجرة الموافق ١٨٨٧ للميلادي. وفيما بعد وعلى تحريض من بعض الحساد وجهت التهمة إلى النواب صديق لمصادرة إقطاعيته والحاكم المحلي الإنكليزي شدد في إعادة الإقطاعية وفي نهاية الأمر تم إعادة كافة الإقطاعية وما عدا هذه الإقطاعية لم تصدر أية إقطاعية في عصر النواب صديق^٣.

٥- التشديد في تنفيذ القوانين

الاقام الخامس هو أن النواب شدد ظلما ونعديا في تدبير وتنظيم أراضي الكراء هي نعمة لا تحتاج إلى الشرح والتوضيح إذ أن كل شخص يريد تنظيم دولة وسير الأمور حسب القوانين والأنظمة المرسومة للدولة إذا بمن الوقت للتطبيق على الناس فانهم دوما يتألمون منه لذلك إذ يريدون أن يستشوا عن ذلك القانون لمصالح ذاتية وإذا يأخذ العدل بحراه يتألمون منه ويشكون عنه. وهذا الاقام من ذلك النوع إذ كان النواب يحب تطبيق النظام والقانون على الناس بدون أي تمييز وكذلك كان يحب أن يسود الرفاهية والأمن في الامارة مما تسبب لاصحاب الخيل والمصالح أن يفتروا عليه مثل هذه التهم و الأكاديب بدون أي دليل وبرهان.

٦- إثارة الخلافات بين أعضاء الأسرة الحاكمة

وهي أن النواب صديق خان أثار خلافات بين النواب شاهجهان بيكم و قدسية بيكم والحقيقة هي انه منذ أن انتقل حكم الإمارة في أسرة النواب غوث محمد خان والد النواب قدسية بيكم إلى أسرة النواب نظر محمد خان خلف النواب وزير محمد خان، نشبت خلافات بين الأسرتين، ولهذا السبب بالذات اندلعت حرب أهلية بين النواب منير محمد خان والنواب قدسية بيكم وفي نهاية الأمر وبمشورة من طوماس هربرت ساندك، الوكيل السياسي لإمارة هيويل والكاتبين جونسون منح النواب مير محمد خان إقطاعية بقيمة (٤٤) ألف روبية سنويا، وقطع هذا الزواج بموافقة من النواب قدسية بيكم وتم زواج النواب جهانكير محمد خان مع والده النواب في ١٨/ذي الحجة سنة ١٢٥٠ للهجرة الموافق

^٣ مائر سنينى ص. ١٧٥/٢

١٥/أبريل سنة ١٨٣٥ الميلادي. إلا أنه بسبب الخلافات الأسرية والذاتية حبس النواب لمدة سنة أو سنتين. وفي ٢٤/ذي الحجة ١٢٥٣ هـ الموافق ١/أبريل ١٨٣٧ الميلادي حصرج النواب محتفياً في الليلة إلى بلدة سيهور وجمع العدة والجيش وغزا على المناطق المجاورة واستولى عليها ثم تقدم إلى الأمام وفي ١٩/ربيع الثاني سنة ١٢٥٣ للهجرة اندلعت معركة دموية بينه وبين النواب قدسية بيكم واستمرت لمدة شهر كامل حتى أن ونكسن بهادر الوكيل السياسي لامارة موبال جاء بجيش بريطاني ونصب محبمه خارج المدينة وبعث برسالة إلى النواب أن تتخلى عن الإمارة وتقوض الأمر إلى النواب جهاكير بهادر، وأن تعتبر نفسها وعرضها وإقطاعيتها في حفظ وأمان. فاضطرت النواب قدسية إلى التخلي عن الإمارة والاكفاء بإقطاعية قيمتها (٤٤٢) ألف روبية سنوياً. وبعد أن مات النواب جهاكير عين النواب فوجدار محمد خان ابن النواب عوث محمد خان نائب حاكم الإمارة وعينت قدسية بيكم حاكمة للإمارة. ولكن بعد مرور فترة قصيرة وبسبب نشوب الخلاف بين النواب ونائب النواب وبمشورة من أعيان الدولة وبموافقة من الحكومة الإنكليزية باضند فصل النسلب فوجدار محمد خان عن منصبه وأصبحت النواب قدسية بيكم حاكمة للإمارة بدون مشارك.

وحدثت أحداث ووقائع خلال هذه الفترة وبعدها لا داعي لذكرها إذ أن هذه الأمور كلها حدثت قبل فترة طويلة لتولي السيد صديق خان إلى منصب ربيع في الإمارة. ولما توفيت النواب قدسية بيكم وعينت شاه جهان بيكم حاكمة للإمارة وقامت بعقد الزواج مع السيد صديق حسن خان ازداد حقد قدسية بيكم وألها الذي كان ذا طابع سياسي مستمر منذ وقت طويل. وذلك لأن السيد صديق حسن خان كان خارجياً وغير كفؤ.

ولعلها كانت تتطلع إلى النواب فيض محمد خان وبار محمد خان. واستغل أصحاب الدنيا والجاه هذا الوضع السياسي وضعف سنها وظلموا على الناس واستغلوا أموالهم وأثاروا فساداً في الأرض كأنه لا سلطة ونظام في الإمارة فنهبوا الدولة والناس. وتجنبا مؤاخاة الدولة ومعاقبتها عارضوا السيد صديق حسن خان وكتبوا انشكاوى إلى السلطات العليا بهذا الصدد. وروجت شائعات منها أن النواب قدسية بيكم تريد منح ترانها الكامل المنقول وغير

المنقول إلى أولاد ولاية العهد. وعلى كل حال استمر الوضع هكذا إلى فترة إلى أن اتضح الأمر على الحكام البريطانيين وندخل العقيد ولیم كانكيد الوكيل السياسي لإمارة هوبسبال وقام بتسوية النزاعات الواقعة بين قنسية بيكم والإمارة.

ولم يعض على الأمن والاستقرار فترة إلا وابتليت قنسية بيكم بمرض الموت وانتقلت إلى حوار رحمة رها في ٢٤/محرم الحرام سنة ١٢٩٩ للهجرة الموافق ١٧/ديسمبر عام ١٨٨١م.

وبعد دراسة هذه الأوضاع يمكن لكل شخص أن يدرك أن القضية وسبب الخلاف كان لا يمت إلى الثواب صديق خان بصلة. ولم يكن يعرف من ذي قبل. ومن المعلوم أن الثواب قنسية بيكم أحسنت إلى السيد صديق حسن خان فكيف يظيب له مع فهمه وورعه وحكمته أن يثير خلافات بين الاثنين .

٧- إثارة الخلاف بين شاه جهان بيكم وولية العهد سكندر بيكم.

هي أن الثواب صديق حسن خان حاول نذر الخلاف والعداوة بين الثواب شاه جهان بيكم و ولاية العهد سكندر جهان بيكم ويرى الثواب صديق خان أنه لم يحدث حادث مؤلم متأسف أكثر من هذه الرواية المفترية ولم يكن هناك في حياته أية حادثة أسوأ وأكبره من هذه الواقعة المبتدعة. ويكتب الثواب عن هذا الاتهام :

"من افتراء الخلق عليّ أني أحدثت الاختلاف والافتراق بين الأولاد و والدتهم. ولو أن هذه التفرقة من الآثام الكبيرة وبالنسبة لي سم قاتل في هذه الدنيا، ولا يريد أي إنسان سوءاً لنفسه متعمداً وقصداً، فهل كنت غيباً إلى درجة أن اعرض نفسي لهذا الهلاك؟ ثم يكتب ومن المفتريات البينة أن كل نشاط وعمل يقع داخل القصر والمدينة ينسب إلى ذاتي حتى ولو لم يكن عليّ دراية عنه^{٢٢}.

وهناك طائفتان من الناس فالطائفة الأولى هي أني لو أقسم بالله أمامهم أو آني بشهود أعيان، فإنها لن تقبل عدم تدخلني في شؤون الدولة. والطائفة الثانية تعرف جيدا بأن الثواب

^{٢٢} مآثر صديقي ح ١٣ ص ١٨٩-١٩٧.

ليست بملتزمة أن تطيعني وتبع آرائي وبالعكس ذلك أنا مضطر إلى أن أؤيدها في كل أمر وأطيعها ولا املك صلاحيات لأن أخالفها".

و يكتب : إني بذلتُ جلَّ أوقاتي في كسب مرضاة مولاي. وكان السحر الأعظم بيدي هو أنني لم أراعي أحداً سواهُ كان قريباً أو بعيداً في امتثال الأوامر. وكل أمر ينسب هؤلاء إلى ذاتي فإني بركئ منه. ومستعد لإجراء المباحلة معهم".

ويكتب في وصية أوصى بها لأولاده، أن يرضي عن قضاء الله تعالى وقدره واشكره، وليفعل الحساد والأعداء ما يشاؤون. الدنيا بضعة أيام ثم مرجعنا إلى ربا الكريم العليم وسرعان ما تغلق العيون، يكشف النقاب عن كل ما عملنا، فإمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار^{٢٣}.

إلى الرفيق الأعلى

مضت أيام كثيرة على هذه الاتهامات ومرافعة الأمر إلى الحكام البريطانيين ولم يصدر قرار من الحكومة البريطانية إذ جاء نداء ربه وأصيب بمرض الاستسقاء ولم يستفك لعدة أشهر إلى أن انتقل إلى جوار رحمة ربه بتاريخ ٢٩/جمادى الثاني سنة ١٣٠٧ للهجرة الموافق ٢٠/فبراير عام ١٨٩٠ للميلادي في مدينة هونال وقد بلغ من عمره (٥٩) سنة و (٣) أشهر وستة أيام.

إعادة الألقاب من قبل الحكومة

بعث الوكيل الخاص للحاكم الإنجليزي في الهند السيد هنوي بتاريخ ١٢/أغسطس سنة ١٨٩٠ الميلادي رسالة إلى النواب مفادها أنه من دواعي السرور أن الحكومة الهندية وافقت على طلب النواب وسمحت بأن يكتب اسم النواب صديق خان مع اللقب الممنوح في كافة المراسلات الرسمية وأن ينشر هذا النبأ في كافة الصحف والمجلات بالأردية والإنكليزية".
و وردت هذه الرسالة في وقت كانت أسرة النواب وكافة أعضاء الإمارة وأحباء وإخوان صديق حسن خان قد أصيبوا بآلام موت النواب وكان العالم كله حزينا ومتألماً بفقد هذه الشخصية العلمية الفذة. فسر الناس بهذا النبأ^{٢٤}.

^{٢٣} ماتر صديقي ج ٣/أبر ١٩٨-١٩٩.

وجاءت رسائل التعزية والسلوان تترى إلى النواب ببيكم خاصة من أعيان الحكومة البريطانية وأمراء الإمارات وكبار العلماء والفضلاء والأدباء والشعراء. وكتب العديد من الشعراء باللغة الفارسية والهندية والعربية مرثي عديدة.

أخلاف النواب سيد صديق حسن خان

وقد ترك النواب صديق خان وراءه زوجته شاه جهان بيكم حاكمة الإمارة التي لم تنجب أية أولاد وكانت من زوجته الأولى السيدة ذكية بيكم إبنان السيد ابوالخير نور الحسن الابن الأكبر الذي ولد سنة ١٢٨٨ هـ مدينة هو بال وقراً على علمائها ونبيغ وألف. والثاني السيد ابو نصر على حسين الطاهر الذي ولد سنة ١٢٨٩ هـ في هو بال وقراً على علماء المدينة وألف وفرض الشعر من أهم كتبه (مآثر صديقي) في أربع مجلدات باللغة الأردية وكتب الدكتور اجنباء الندوي أن أولاده انتقلوا فيما بعد إلى مدينة لكاناؤ: "وكان هو (نور الحسن) وأخوه انتقلا إلى مدينة لكاناؤ بعد وفاة الأميرة شاه جهان بيكم سنة ١٩٠١ ، كانت دارهما في حي لال باغ معروفة بـ "هو بال هاؤس" ، مركز العلم والبحث يجتمع فيها العلماء والشعراء والكتاب فكثيرا ما يتحول المجلس إلى مجمع علمي وحلقة درس وبحث وجلسة دعوة ودين يحضره أمثال العلامة الشيخ محمد شلي النعماني والشيخ حيدر حسن خان ، عميد دار العلوم لندوة العلماء بذلك الحين والشيخ العلامة عبدالحمي الحسيني والعلامة السيد سليمان الندوي رحمهم الله.

وقد انتخب الشيخ علي حسين أميناً عاماً لندوة العلماء عام ١٢٤٦ هـ الموافق ١٩٣٢ م وبقي على هذا المنصب إلى أن وافاه الأجل سنة ١٢٥٥ هـ ١٩٣٦ هـ رحمة الله على روحه الطاهرة.^{٦٥}

^{٦٥} مآثر صديقي ج ٣ ص ٢٠٤/٢٠٨

^{٦٦} الأمير سيد صديق حسن خان المذكور إجماع الندوي ص: ١٦٥ - ١٥٦.